

الجمعيات العربية والخلاص من الأتراك



مستم
أحمد السقايف

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

حين استقرت الأوضاع المضطربة في سورية ولبنان بعد المذابح الطائفية التي حلت بالمواطنين فيهما عام ١٨٦٠م أقدم عدد من الشبان العرب على تأسيس جمعية سرية لنشر الفكر العربي القومي، فظهرت في بيروت عام ١٨٧٥ جمعية سرية عرفت باسم «جمعية بيروت السرية»، وبعد عام واحد من هذا التاريخ خلع الأتراك السلطان عبدالعزيز ونصبوا أخاه السلطان مراد الخامس، ثم خلعه بعد بضعة أشهر لمرضه ونصبوا أخاه السلطان عبدالحميد الثاني في أغسطس من عام ١٨٧٦م فحكم حكما استبداديا مطلقا إلى أن خلع عام

١٩٠٩م، وفي بدايه عهده طأطأ الرأس لرغبة المصلحين وفي طلبعتهم مدحت باشا، فوافق على الدستور ونحن نعلم أن مدحت باشا كان يلقب بأبي الدستور، وقد عين عام ١٨٦٨م واليا على بغداد وعرفه العراقيون باصلاحاته الكثيرة وذاع صيته في كافة الأقاليم، ولم يستمر الوفاق بين السلطان عبدالحميد ذي النزعة الفردية الاستبدادية وبين المصلحين وعلى رأسهم مدحت باشا، فأقدم بعد سنة واحدة على الغاء الدستور ونفى مدحت باشا إلى أوروبا، أما «جمعية بيروت السرية»، فإنها بقيت تعمل بكل حذر لا يقاط الشعور العربي لدى المواطنين بعد أن ساد الظلم والاستبداد وقد استفادت هذه الجمعية مما كان يكتبه الكواكبي في سورية ومصر ضد الطغيان العثماني، وبالرغم من تمسك الكواكبي بالخلافة في ذلك الزمن إلا أنه كان يشترط أن يكون على رأس الخلافة عربي من قرش، وقد توفي الكواكبي عام ١٩٠٣م بالقاهرة ومن أهم كتبه أم القرى، وطبائع الاستبداد وبعد تردّي الأوضاع أعلن السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨ الدستور وهو دستور مدحت باشا الذي تنكر له من قبل، فأنشئت بعد اعلان الدستور أول جمعية عربية بالمعنى الشامل عرفت باسم «جمعية الإخاء العربي العثماني» وقد حضر افتتاحها أعضاء من «جمعية الاتحاد والترقي»، و«جمعية الاتحاد والترقي» كما نعلم جمعية تهدف إلى تذويب جميع القوميات في القومية التركية وفرض اللغة التركية على العرب، وقد أجمت هذه الجمعية الشعور القومي في الشباب العربي ودفعتهم إلى التفكير في التخلص من حكم الأتراك، وفي هذه الأثناء عين السلطان عبدالحميد الشريف حسين بن علي أميراً على مكة بضغظ من جماعة «الاتحاد والترقي» بعد أن عاش كالأسير في استنبول

مع أسرته أكثر من خمس عشرة سنة وقد أسفرت الانتخابات
لمجلس المبعوثان في أواخر عام ١٩٠٨ عن فوز مائتين
 وخمسة وأربعين عضوا منهم ستون من العرب بالرغم من أن
 العرب يفوقون الأتراك في العدد بنسبة ثلاثة إلى اثنين، أما
 مجلس الأعيان وكان عدد أعضائه ستين عضوا بالتعيين فإن
 عدد العرب فيه ثلاثة أعضاء وفي أبريل من عام ١٩٠٩
 شبت ثورة في استنبول بتحريض من السلطان للقضاء على
 خصوصه أعضاء جمعية «الاتحاد والترقي» فافتحم الناثرون
 البرلمان وقتلوا وزير العدل والنائب العربي الأمير محمد
 ارسلان وعددا من الضباط فقرر محمود شوكت باشا وهو
 ضابط عراقي القضاء على المتمردين فقاد جيشه من سالونيك
 ودخل استنبول بعد قتال عنيف وأعاد إلى الجمعية سلطتها ثم
 اجتمع المجلسان وقررا خلع السلطان عبد الحميد وتعيين أخيه
 السلطان رشاد خليفه له فتسمى محمد الخامس وكان في
 الرابعة والستين من العمر وكان ضعيفا لاجل ولا يربط فبسط
 جماعة «الاتحاد والترقي» سيطرتهم على كل شيء وفاق
 استبدادهم استبداد السلطان عبد الحميد، وأول عمل قام به
 هؤلاء حل جميع الجمعيات العربية وفي مقدمتها «جمعية
 الاخاء العربي العثماني» ولتهدة خواطر العرب وافق
 الاتحاديون في صيف ١٩٠٩ على انشاء «المنتدى الأدبي»
 كملتقى للأدباء والطلاب العرب في استنبول على أن يكون
 بعيدا عن السياسة ولكن هذا المنتدى فتح له فروعا في مدن
 سورية والعراق وأنشأ مكتبة وأماكن للنوم والضيافة ملحقه
 بالمنتدى في استنبول وكان ينشر الفكر القومي بحذر بين
 شباب العرب وفي هذه السنة أيضا أنشأ الضابط العربي
 الشجاع عزيز علي المصري جمعية سرية عرفت باسم

«الجمعية القحطانية» وكانت تهدف إلى تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين كمحاولة لحل مشكلة خلقتها سياسة الاتحاديين المركزية المتصلبة وذلك بأن تؤلف الأقطار العربية مملكة لها برلمانها وحكومتها المحلية ولغتها القومية ومدارسها ومؤسساتها على أن تصبح جزءا من امبراطورية تركية عربية وكان أعضاء هذه الجمعية من الضباط العرب من ذوي الرتب العالية ولاسيما الضباط العراقيين الذين كانوا يمثلون الأكرية المطلقة بين اخوانهم الضباط .

وفي عام ١٩١١ أسس بضعة شبان من العرب الذين يدرسون في باريس جمعية «العربية الفتاة» كرد على تأسيس جمعية «تركيا الفتاة» وجمعية «الاتحاد والترقي» اللتين كانتا تسعيان بحقد إلى دمج العرب في القومية التركية وقد نمت بسرعة وعرفت بالتنظيم الدقيق وكان العضو لا يقبل فيها إلا بعد اختبار طويل ثم انتقلت إلى بيروت بعد أن تخرج أعضاؤها عام ١٩١٣ ثم انتقلت عام ١٩١٤ إلى دمشق وزاد عدد اعضائها على المائتين ولم تعرف هذه الجمعية إلا بعد نهاية الحرب وخروج الأتراك من البلاد العربية .

وفي عام ١٩١٢ أنشئت في القاهرة جمعية علنية تعمل للخلاص من السيطرة العثمانية عرفت باسم «حزب اللامركزية الإدارية العثمانية» وكان لها فروع في الشام والعراق ولها ارتباط وثيق بالمنتدى الأدبي في استنبول .

وفي عام ١٩١٣ أنشئت في بيروت «لجنة الاصلاح» وكانت مكونة من ستة وثمانين عضوا من جميع الأديان واتصلت بحزب اللامركزية في القاهرة غير أن السلطات العثمانية بادرت إلى حلها ومع ذلك استمرت في النشاط

وعقدت اجتماعا في باريس استمر اسبوعا وصدرت القرارات وهي تتفق مع مبادئ حزب اللامركزية وقد أوفد الاتحاديون مندوبا لمفاوضة العرب بباريس وفوضوه قبول المطالب العربية ولكنهم تراجعوا بعد ذلك فصدر مرسوم في أغسطس عام ١٩١٣ شوه ما حصل الاتفاق عليه ولعب الاتحاديون بتضامن هذه الحركة حين عينوا رئيس المؤتمر عبدالحميد الزهراوي عضوا في مجلس الأعيان فشار عليه رفاقه وقابلوا التعيين بالاشمئزاز وقد اعدم جمال السفاح الزهراوي مع رفاق له في دمشق قبيل قيام الثورة العربية أما عزيز علي المصري فقد أُلقي القبض عليه وسجن بتهمة التآمر في فبراير من العام نفسه وعزيز المصري من مواليد القاهرة وتخرج في كلية الأركان عام ١٩٠٤ وانضم إلى «جمعية الاتحاد والترقي» وزحف على استنبول عام ١٩٠٨ وقد انضم إلى جمعيتهم لسببين الأول اخلاصه للدولة العثمانية والثاني تمسكه بالقومية العربية وحين وجد أن التوفيق بينهما محال أسس «الجمعية القحطانية» وفي عام ١٩١٠ أرسله الاتحاديون إلى اليمن بعد هزائم جيشهم هناك فافزع الإمام بتسوية الخلاف مع الباب العالي ثم تطوع في ليبيا لقتال الايطاليين وانتصر بقواته الصغيرة على الايطاليين في معارك كثيرة وعاد إلى استنبول عام ١٩١٣ فصدر الأمر بنقله إلى ولاية بعيدة في الأناضول فاستقال وانشأ «جمعية العهد» وكانت أهدافها لا تختلف عن أهداف «الجمعية القحطانية» ولم يقبل من المدنيين غير اثنين وأكثر أعضائها من الضباط العراقيين الذين عرفوا بين الضباط العرب بالإيمان بالقومية العربية والسعي الجاد لإنقاذ الأمة العربية من السيطرة الأجنبية وكان لهذه الجمعية فروع في بغداد والموصل وكانت هذه الجمعية خاصة بالضباط

العرب وجمعية «العربية الفتاة» للمدنيين وقد اتحدتا في دمشق عام ١٩١٥ لإعلان الثورة على الأتراك ومن المفيد للشباب أن يعرفوا شيئاً عن الأبطال من أبناء أمتهم العربية العظيمة فعزیز علي المصري له منزله الرفيعة بين اخوانه العرب، وكان الأتراك يهاؤونه كثيراً، وحين شعر بعدم جدوى التعاون مع الأتراك وأدرك أن الثورة العربية قادمة لا محالة قدم استقالته إلى وزير الحربية أنور باشا في ٢٠ يناير ١٩١٤ وبعد أقل من ثلاثة أسابيع أُلقي القبض عليه وزج به في السجون فجن جنون الضباط العرب وتحركوا لإنقاذه فبعثتهم السلطة في مدن الأناضول والعراق والشام وقد قامت الحركة الوطنية في استنبول وفي غيرها من العواصم العربية بالاحتجاج على احتجاز عزيز علي المصري وطالب زعمائها السلطات التركية بالإفراج عنه ومما قاله شوقي في سجن هذا البطل :

بالله بالإسلام بالخرج الذي ما اتفك في جنب الهلال بيل
هلا حلتك عن السجين وثاقه إن الوثاق على الأسود ثقیل
أيقول واش أو يردد شيايت جبنديده بريقة مؤثك مكبول
هو من سيوفك أغمده لريبة ما كان يغمد سيفك المسلول
فاذكر أمير المؤمنين بلاءه واستبقه إن السيوف قليل

ولما ترجمت هذه الأبيات للسلطان محمد رشاد وقدمها إليه إحسان الجابري أحد موظفي البلاط هز رأسه وسكت فقد كان لا يملك من أمره شيئاً فالسلطة بيد الضباط العنصرين وعلى رأسهم طلعت وأنور وجمال السفاح، وبعد ضغط شديد أفرجوا عنه فسافر إلى وطنه وظل في القاهرة يتصل باصدقائه الضباط العرب استعداداً للثورة وقد استطاع أعضاء «جمعية العهد» وجمعية «العربية الفتاة» أن يستميلوا إليهم الشريف حسين ليتزعم الثورة وكان نجله فيصل يبلغه رأي الأحرار المنتمين إلى هاتين الجمعيتين، وكان لابد للثورة من مساندة

أجنبية فدارت الاتصالات والمكاتبات بين شريف مكة والسير هنري مكماهون المندوب السامي في مصر لضمان استقلال البلاد العربية بعد طرد الأتراك منها وقد اتفقا بعد مكاتبات مملدة كادت تؤدي إلى توقف الاتصالات فأعلن الشريف حسين ثورته على الأتراك في الخامس من حزيران عام ١٩١٦ بعد أن علق جمال السفاح على المشانق في ساحة المرجة بدمشق وساحة البرج ببيروت عدداً كبيراً من أحرار العرب في بضعة أشهر إضافة إلى نفي مئات العائلات السورية إلى مدن الأناضول ليموتوا جوعاً بعيداً عن بلادهم وأهاليهم، فكانت هذه المظالم سبباً إضافياً لقيام الثورة، وحين علم جمال السفاح بالثورة في الحجاز تأجج غضبه وزج بمن بقي من أحرار العرب في سجون دمشق وبيروت، وعذبهم تعذيباً رهيباً، وصمم على قتلهم لولا أن الشريف فيصل كتب إليه مهدداً بإعدام عشرة ضباط من الأتراك لكل عربي يعدم، فاضطر إلى التراجع وأطلق سراحهم ووضعهم تحت المراقبة وقد رحب حكام الجزيرة العربية بالثورة علماً ابن الرشيد وإمام اليمن وعقدوا مهرجاناً في الكويت في عهد جابر بن مبارك الصباح لتأييد الثورة بعد بضعة أشهر من قيامها حضره عبدالعزيز آل سعود والشيخ خزعل وشيوخ آخرون فكان خطيب المهرجان السلطان عبدالعزيز سلطان نجد فثار حماس الحاضرين، وقد حث العرب على تأييد الشريف حسين لإفقاذ البلاد العربية من سيطرة الأجانب.

أما عزيز علي المصري فإنه وصل إلى جدة في سبتمبر بعد ثلاثة أشهر من قيام الثورة العربية وتولى شؤون قيادة قوات الشريف حسين غير أنه ترك العمل بعد أشهر قليلة لاصطدامه

بتدخل الشريف حسين في أموره العسكرية، وقيل ان بعض المستشارين الانجليز قد كادوا له لدى الشريف فعاد إلى القاهرة وعاش حياته في مصر متنقلا بين الوظائف الكبيرة والسجون والمعتقلات حتى قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فعين سفيراً في موسكو ثم ترك العمل ولزم منزله حتى مات، وحين ترك عزيز المصري العمل مع شريف مكة خلفه الجنرال جعفر العسكري وهو ضابط عراقي شجاع وكان العسكري لا يرغب في الثورة على الأتراك في تلك الظروف ولكنه بعد أن أقدم جمال السفاح على إعدام أحرار العرب في سورية ولبنان رأى أن استمرار التعاون مع الأتراك ضرب من الخيانة، وصمم هو وعدد من زملائه الضباط العراقيين على الالتحاق بالثورة إيماناً منهم بالعروبة ووفاء بما تفرضه عليهم القومية العربية وقد بلغ الجيش الذي تولى قيادته العامة الجنرال جعفر العسكري في الحجاز سبعين ألف مقاتل يقود قطعاته عدد من الضباط العراقيين الشجعان وقد كان هذا الجيش لا يملك سوى عشرة آلاف بندقية ومع ذلك استطاعت هذه القوات أن تأسر في مكة والطائف وجدة وتبوك أكثر من اثني عشر ألف جندي تركي في مقدمتهم والي الحجاز غالب باشا وتستولي على ما لديهم من عتاد بعد قتال استمر ثلاثة أشهر، كما استطاعت هذه القوات أن تحاصر في المدينة المنورة أربعة عشر ألف جندي، وتغزل ثلاث فرق تركية في عسير واليمن وتقطع عنها التموين وتحقق الانتصار بعد الانتصار حتى بلغت حدود سوريا الشمالية.

ولقد قلنا في مقال سابق عن الخلافة العثمانية أن نهوض العرب بواجبهم القومي في تحرير الأرض العربية من السيطرة العثمانية قد وضعهم في الصفوف المتقدمة بين الشعوب الحرة

الكريمة الآية فما من شعب حي أصيل رضى لنفسه الخنوع
والذل والاستعباد تحت أي شعار من الشعارات، وليس غدر
الحلفاء بعد الحرب العالمية الأولى بالآمال العربية يتحمله
أحرار العرب وإنما يجب أن يكون صفحة سوداء في تاريخ
الاستعمار والمستعمرين .

أما العرب فقد استمروا في النضال والكفاح حتى استقلت
البلاد العربية من الخليج إلى المحيط، ولم يبق غير هذا
الجسر الصهيوني العدواني المدعم بالقوة الأمريكية في
فلسطين، ويستطيع العرب - وهم اليوم قوة عظيمة بحسب لها
العالم ألف حساب - أن يزيلوا هذا الجسر إن اتحدت
كلمتهم، وعملت كل حكومة عربية بوحى من المصلحة
القومية العليا دون الالتفات إلى مخططات الأعداء الهادفة
إلى تشتيت وحدة العرب وتعميق الخلافات في صفوفهم . إننا
اليوم نواجه أطماعا توسعية جديدة في الجناح الشرقي من هذا
الوطن يرفع راياتها أعداء تاريخيون وعلينا أن نصد هذه
الأطماع التوسعية بالوقوف صفا واحدا بكل ما نملك من قوة،
فالأبطاء في مواجهة هذه الأطماع القادمة من طهران سيكلف
الأمة العربية الكثير الكثير، وبقيتنا أن الصلف الذي يرافق
هذه الاطماع ما كان له أن يلوح لولا هذا التمزق الرهيب
الذي نعانيه ولو أن العرب وقفوا منذ البداية وقفة رجل واحد
في وجه هذه الأطماع التوسعية الحاقدة لما قامت هذه
الحرب . إن الحس القومي لدى أبناء الأمة العربية يجب أن
يكون في مستوى الأحداث، فالذود عن الأرض العربية واجب
قومي مقدس، والعربي لا يمكن أن يكون قوما عربيا في جزء
من القضية وانتهازيا شعوبيا في جزء آخر منها، والعربي المبرأ

من العقد يأبى أن يكون النضال مقبولا في فلسطين ومرفوضا في العراق، وأعظم كارثة تخلقها هذه المواقف المفجعة أن يعتاد الإنسان العربي التفكير الإقليمي القاتل، فيستغيغ المشاهدة وابتكار الاعذار الكسبة، والتبجعة الحتمية الهزيمة في كل قضية تمس أمن هذا القطر أو ذاك، والعراق الذي هب منذ أكثر من عشرين شهرا يدفع العدوان عن نفسه وعن الخليج والجزيرة العربية غير مضطر لمعاقبة المشاهدين من اخوانه العرب، فالتاريخ مشغول بتسجيل المواقف. ان الشعارات الكاذبة المرفوعة باسم الإسلام في طهران لا تخدع أحداً في هذا العصر فأين هذه الشعارات من مبادئ الإسلام السمح المتسامح؟ أليست هذه المجازر اليومية في المدن الإيرانية خير شاهد على زيف هذه الشعارات؟ لقد أعدم هؤلاء المتشددون بالإسلام في طهران عشرات الألوف من المواطنين دون محاكمة، وساقوا إلى جحيم الحرب مئات الألوف اعتقاداً منهم انهم قادرون على تركيع العراق، واذلال شعب العراق، وهم يعلمون دون شك أن العراق قلعة شامخة للعروبة الصلبة وإذا ما انهارت هذه القلعة سقطت الجزيرة العربية وسقطت دول الخليج العربي بسهولة تحت أقدامهم،

وأصبحت مسرحاً للدمار والفوضى والكوارث. إن على الأحرار الشجعان من أبناء الأمة العربية أن ينهضوا بواجبهم القومي إن كانوا يشعرون بأنهم أهل للانتساب إلى أجدادهم الميامين فلقد كان الأجداد أسوداً في الملمات، وعلى الأحرار الشرفاء من أبناء أمتنا العظيمة أن يصموا الأذان عن فحج الشعوبيين والمارقين والحاquدين، فليس العربي الحر بقادر على المشاهدة من بعيد والصراع دائر بين أشقائه وبين أعدائه التار يخيين،

ولن يزيد العربي هذا التعاون القائم اليوم بين العدو المزروع
في فلسطين وبين الفرس المتغترسين إلا إصرارا على البذل
والفداء والعطاء ، فالحرية لاتنالها الشعوب الحية إلا بالدماء
والشهداء والنصر المؤزر ان شاء الله للعراق العظيم مهما لاقى
من جحود وتنكر وصدود .





تطوّر الحركة الأدبيّة في الكويت حتى عهد الاستقلال

خالد سعود الزيد

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ألقي الشاعر خالد سعود الزيد محاضرة في رابطة
الاجتماعيين مساء يوم الاثنين ١٩٨٢/٤/٢٦ بعنوان «تطور
الحركة الأدبية في الكويت حتى عهد الاستقلال» وهذا
هو نص المحاضرة:

التأسيس: لن تكون محتاجا الى جواز سفر ولا الى بطاقة للعبور من العراق
الى الكويت أو للسفر من الكويت إلى أي قطر من أقطار العروبة

« هذه المحاضرة جزء من كتاب يعده الزيد بعنوان « الحياة الثقافية في الكويت وتطورها » .

والإسلام . لا حواجز ولا حدود ولا انتهاء لغير المدينة أو القرية التي ولدت فيها ونشأت فيها . لك أن ترحل كيفما شئت في أرض الله الواسعة ، ولك أن تقيم في أي صقع تطمئن نفسك إليه .

إن أحدا لن يسألك : من أين أنت قادم ! ولماذا أنت مقيم ! أهلا بك قادما مقبلا أو راحلا مبارك الأسفار . لقد بقي الأمر على هذا النهج حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وما بعد هذه الحرب ليس بحاجة إلى إيضاح .

عبد الجليل الطباطبائي

ولد عبد الجليل الطباطبائي — وهو أول من نُزِجَ له كشاعر من شعراء الكويت وأدبائها — في البصرة عام ١١٩٠ هـ الموافق عام ١٧٧٦م فُكِّسَ إليها ثم نزح إلى الزبارة وإلى البحرين وبعد ذلك هبط الكويت عام ١٢٥٩ هـ — ١٨٤٣م بعد أن طوّحت به طوائف الزمن وأقصد الدهر مضجعه بالشوى والأسفار ، أثر الكويت بالسنوات العشر الأخيرة من عمره وجعلها مستقرا له ومقاما ، واشتغل بها أولاده ثم خلدته من بعده حتى اليوم .

لقد هجر مزارع التخييل في البصرة وعاف المراكز التي تبوأها عند حكام الزبارة والبحرين واختار الكويت لتكوين له موئلا فأسس بها بيتا وانشأ ثروة وبنى له في سنة ١٢٦٦ هـ — ١٨٤٩م سفينة سماها (السعد) كناية عن سعادته بهذا المأوى . وأرخ لبنائها بقوله : « يحث السعد تيسر ورزق » .

وهذه الحروف تعني أن بناءها قد تم في عام ١٢٦٦ هـ — ١٨٤٩م .

لم تكن الكويت قبل أن يحل فيها عبد الجليل قد تعرّفت على أي لون من ألوان الأدب أو مارسته . حيث لم يكن هنالك شيء يطلق عليه اسم أدب أو أدباء ، حينما نزح الناس إلى الكويت وتجمعوا فيها ، وأسسوا لهم حكومة

يرأسها صباح الأول ثم من بعده ابنه عبدالله .

أوى هؤلاء الناس إلى ركن ناء منزول، ليكونوا بعيدين عن الصراع الذي يلف الأمة العربية جمعاء، خاصة في عراقها وشامها وجزيرتها، يبحثون عن لقمة العيش، ويطمحون إلى بناء مجتمع جديد، تسوده الدعة، ويشمله الأمن والاستقرار. فلم يكونوا قد هياؤا أنفسهم بعد لطموح فكري إلا بقدر ما تفرضه عليهم ظروفهم كتجار، فانشئت بعض الكتائب لتخريج شبيبة تحيد القراءة وتتولى أمور الحسابات وتدقيق المعاملات التجارية البسيطة التي كانت لا تعدو كونها عمليات حساب بسيطة ورسائل هي إلى العامة في أسلوبها أقرب منها إلى لغة عربية فصحي .

أما أمور الدين المعقدة كالفقضاء مثلا، فانهم يجلبون القضاة من البلدان المجاورة فيتولى هؤلاء القضاة ممارسة أعمالهم القضائية، فضلا عن مجالس الوعظ والارشاد التي تعتبر جزءا من طبيعة مهامهم كرجال دين .

لذلك كان محيي عبدالجليل فاتحة خير للمواهب الأدبية التي لم تتفتح أو التي هي في سبيلها إلى أن تتفتح وتنتطق لتحقيق وجودها أدبيا كان من قبل عندما أو ما يشبه القدم .

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

فبرزت وجوه أدبية في فترة وجوده وبعدها بقليل، كان لها فضل السبق في وضع بذرة الأدب والفكر في هذا الجزء الصغير من الوطن العربي الكبير.

وجوه أدبية

فمن هذه الوجوه السيد أحمد بن السيد عبدالجليل الطبطبائي وتلميذه الشيخ خالد بن عبدالله العدساني .

لقد تصدى السيد أحمد للتدريس بعد أبيه مدة عشرين سنة حتى وافاه الأجل عام ١٢٩٥ هـ — ١٨٧٨ م وقد انتفع بعلمه كثير من رجال ذلك العصر وشبابه منهم الشيخ خالد بن عبدالله العدساني والشيخ محمد بن عبدالله بن فارس وغيرهما .

ومحدثنا الشيخ الجليل المرحوم عبدالله الخلف في ترجمته لشيخه محمد بن عبدالله بن فارس بأنه (أخذ يتردد على عبدالجليل بعد أن استوطن الكويت ويستفيد من علمه وأدبه وكتب عن إملائه قصائد وفوائد).

العدساني وعبدالله الفرج

أما العدساني فهو شخصية مرموقة في عصره، عُيِّنَ إماماً وخطيباً في جامع السوق، وهذا منصب عظيم لا يناله إلا كُلُّ ذي قدر لدى الناس، ومكانة علم تعينه على الوعظ والارشاد في المسجد المذكور. ولقد كان الشيخ العدساني صديقاً ملازماً للشاعر عبدالله الفرج الذي كان فضلاً عن كونه أديباً وشاعراً مبرزاً فهو موسيقي عظيم لا يزال الغناء في الخليج العربي متأثراً بألحانه التي صنعها وابتدعها ثم تناقلها المطربون عنه جيلاً بعد جيل حتى وقتنا الحاضر.

وعلى الرغم من أنَّ الموسيقى في ذلك العهد وإلى عهد قريب في الكويت كانت أمراً يحرمه الناس على أنفسهم، ولا يرضاه لهم معظم رجال الدين، فإننا نجد العدساني على تفرعه وتقائه ملتصقاً بعبدالله الفرج ملازماً لصحبته مخالفاً بذلك سنة الناس وما ابتدعه المتزمتون من رجال الدين في تحريمها والابتعاد عنها. وهذا دليل قاطع على سمو إدراك هذا الشيخ وبُعْدِ همته ونظيره، ولما يربط بينهما من ولاء أدبي وحب فكري عميق. وما زالت هذه المودة إلى أن تُوفي الشيخ العدساني فرثاه عبدالله الفرج بقصيدة دالية أثبتنا ما وجدناه منها في ترجمته في كتابنا «أدباء الكويت في قرنين».

وهكذا نلمس في هذه الفترة بوادر نمو الأدب وازدهار الموسيقى وتقدم الفنون. وليس من شك في أن للموسيقى أثراً بارزاً في تنشيط الحركة الأدبية والفكرية، لاسيما جانب الشعر منها، حيث كان عبدالله الفرج أحد رواته وحفاظ روائعه، ونحس ذلك فيما نسمعه من غناء المطربين اليوم الذين توارثوا حفظ هذه الأشعار عنه لشعراء العصر العباسي والعصر الأيوبي في مصر.

أدب هذه الفترة

وبعد فلقد كان العصر الذي نشأ فيه عبد الجليل والذين معه وبعده بقليل هو عصر انطماس الذات العربية وضياعها في خضم الحكم التركي الغاشم، فلقد ضاعت أبحاد الأمة العربية، ودرست معالم حضارتها ومشى الجهل عليها، فعطل نموها الفكري والحضاري، وأغلق مفاتيح انطلاقها. وبقي الأدب العربي يرسف في أغلاله من الجمود والتخلف، والتقليد المائت السخيف، مصنوعاً متكلفاً لا حياة فيه ولا إشعاع، لذلك جاء شعر عبد الجليل ومن تلاه موسوماً بهذا الختم منسوجاً على هذا المنوال.

فاذا ذكر المتنبي مثلاً المجد والمعالي وتغزل بها في شعره وشدت عليها نجد صاحبنا عبد الجليل يحاول مجاراته كما في قوله:

وليس يبلغ كنه المجد غيرُ فتى يرى اكتسابَ المعالي خيرَ منجرٍ
إنَّ الكرمَ يرى حملَ المشقة في نيلِ العلا من لذِذِ العيشِ فاصطبر
فالصبرُ عونُ الغنى فيما تحشمه إنَّ السيادةَ نهجُ ظاهرِ الوعرِ
أما إذا تذرَ المتنبي ورأى نفسه غريباً بين الناس كصالح في ثمود فان
عبد الجليل يجد نفسه غريباً أيضاً حتى بين أهله وصحبه وجبرته:

غريبٌ ولكن بين أهلي وجبرتي ومستوحشٌ ما بين خلي وصاحبي
ولقد شاع في شعر المتنبي تصغيرُ الأسماء فجاراه عبد الجليل في هذا أيضاً
حتى كثر في شعره التصغير بصورة مميّزة كما في قوله:

نابتُ بحسبي لا بقلبي فإنه برقع أخيبابي مقيمٌ مخيم
أما العدساني فرغم انعكاس البيئة في صوره الشعرية إلا أنَّ روح الوعظ
غالبة عليه. ففي سنة ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م دُبِيت الكويت فاكل الدّبي نباتها
وملأ آبارها حتى صارت منتنة، واستمر اثني عشر يوماً، فنظم العدساني هذه
القصيدة:

الله أكبر كيف القملُ الضعفا آذى الانام ومنه الزرع قد تلفا

وصير الأرض بَيْضاً لا نبات بها
قد جاء كالسبل يقدو ليس بمنه
حتى أتانا فعتتْنَا بليتة
فلم نر ظرقاً إلا وقد مُلئت
وأصبحتْ جُمْلَةُ الآبار منتنة
وكل طفل له من أهله حَزَنٌ
واشتدَّ أمر الورى من مخْظَمِ كثرته
فقال كلُّ أما والله ذا سخط
أتى لعشر من الشهر الشريف خلت
وكان في سنة السبع التي وقعت
فالحمد لله والشكر الجميل له

وليس عبدالله الفرج بخير منها فهو ثمره من هذه المدرسة في شعره
الفصيح غلب على شعره الجناس والمحسنات البديعية كقوله :

غزال ما الحريق بوجنتيه
عجبت بخذه نار وماء
بمحرقها وإن سكن الحريقا
وذلك منه ما يطفئ الحريقا

أما شعره العامي فإنه ذو مستوى رفيع تحدث فيه عن شجونه وشؤونه
وشجون الناس وشؤونهم ، لقد جاء شعرا سلسا ممتعا ولولا اضطرأنا للشعر
العامي في هذه الدراسة لوقفنا عند شعر عبدالله طويلا ، وقد قام خالد محمد
الفرج بطبع ديوانه العامي في دمشق عام ١٩٥٤م .

ديوان عبدالجليل

أما ديوان عبدالجليل فقد طبع لأول مرة عام ١٣٠٠هـ — ١٨٨٢م في
مدينة بومبي بالهند وهي طبعة حجرية على نفقة حفيده مساعد بن السيد أحمد
ابن السيد عبدالجليل وأُطلقَ عليه اسمُ (روض الخلل والخليل ديوان السيد
عبدالجليل) ، ولا ندري إن كان هذا الاسم من اختيار واحد من ابناؤه . بيد

أننا نعرف من مقدمات قصائد الديوان أن الديوان تَمَّ جمعه في حياة عبد الجليل نفسه حسب توار يخ نظم القصائد ثم واصل الجامع ترتيب الديوان وتنسيقه بعد وفاة عبد الجليل . وما يؤكد أن الديوان قد تَمَّ جمعه في حياة عبد الجليل قول الجامع : (قال حفظه الله تعالى ..) (وما قاله أيضا حفظه الله تعالى ..) حتى إذا مرّت أكثر من خمس عشرة قصيدة من قصائد الديوان وعند قصيدة :

بدري تجلّى بحسن أعرى من الصب صبرا
نرى الجامع يقول : (وقال أيضاً رحمه الله ..)

وطبع الديوان في مصر مباشرة بعد هذه الطبعة ثم قامت حكومة البحرين وحكومة قطر بطبع الديوان ، فكل بلد تدعي أنه شاعرها كما فعلت حين جعلته على رأس شعراء الكويت في كتابي (أدباء الكويت في قرنين) .

البعثات الأولى

و بعد ..
ARCHIVE

فلقد كان من آثار هذه المرحلة أن تجاوز الشباب بتطلعاته تخوم المعرفة الدينية المحدودة ، وتعدى بتشوفاته حدود بلده والأحساء أو مكة والمدينة المنورة . وألقى ببصره بعيدا فرأى في مصر لأحلامه موئلا . وكان هذا مطمعا يُخَمِّدُ عليه ويُشكر .

ويحدثنا التاريخ عن أول فتية رحلوا إلى مصر ، فكان أول طالب علم رحل إليها هو عيسى بن علوي ويقال إنه يمتّ إلى عائلة المصيصيح بصلّة ، وقد توفاه الله في حدود عام ١٢٨٠ هـ — ١٨٦٣ م . لقد كان كما يزُوّن شيخ دين ، وكان طبيبا وكان تاجرا ، عمل في التجارة زمنا ، وكان من قبلها قد توظّف بوظيفة حكومية ، والوظائف الحكومية حينذاك معصورة في جمع الرسوم . وكان من أسباب دراسته الطب أن شيخه الأزهري قال له : إن دراسة الفقه وحده لا تكفي وأمره بدراسة الطب فدرسه على يده .

وتلاه الشيخ أحمد محمد الفارسي الذي رحل إلى مصر عام ١٢٨١ هـ -
١٨٦٤م وعاد بالشهادة العالمية من الأزهر في عام ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٢م وقد
توفاه الله عام ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م وقد تجاوز التسعين .

والثالث هو الشيخ مساعد العازمي الذي رحل إلى مصر عام ١٨٨٥م
وتعلم صناعة التلقيح ضد الجدري، وغادر مصر إلى الهند لشراء المادة اللازمة
للتلقيح فرحل من الهند إلى اليمن ومكث فيها عاما، وغادرها ليقم في رأس
الخيمة مُبشراً بفوائد التلقيح ضد الجدري، وتزوج برأس الخيمة وأنجب ثم عاد
إلى الكويت في حدود عام ١٨٩٤م وأقام بها سنوات وهاجر منها إلى
البحرين ومات هناك .

كان الشيخ مساعد نحوياً، وكان طبيباً، وكان عروضياً نقادة للشعر،
وكان فقيهاً على مذهب الإمام مالك . وقد اُنتجَ كثيرا وأُذِيَ في سبيل
دعوته للتلقيح ضد الجدري كثيرا، ورحم الله الرواد .

أما رابع هؤلاء فساقف عنده قليلا فهو يُدعى ماجد بن سلطان بن فهد .
وهل منا اليوم من يعرف من هو ماجد بن سلطان بن فهد . . سأحدثكم عنه
ملياً فالذين تحدثوا عن حياته كان حديثهم عنه مقتضباً، لا يروي غليلاً ولا
يشفي عليلاً . إنه واحد من مناضلي هذا الخليج العربي وفارس من فرسان
الدعوة للإصلاح ، لو وَجَدَ مناصراً ولو أُعِينَ على ما ينبغي .

ماجد بن سلطان

لقد رافق هذا الماجد الشيخ أحمد الفارسي في رحلته إلى مصر ودرس
هناك، ولا نعلم عن تاريخ عودته إلى وطنه شيئاً بيد أنه كان من المقربين
لدى الشيخ يوسف بن إبراهيم . ولطالما سافر معه إلى الهند والبحرين وتعرف
في الهند على كثير من الشخصيات الخليجية في البحرين وعمان وحين غادر
الشيخ يوسف بن إبراهيم الكويت بعد تولي الشيخ مبارك الصباح السلطة
كان معه في هجرته إلى العراق ثم رحل إلى الآستانة (استنبول) ، ولعل

رحلته كانت بإيعاز من الشيخ يوسف بن إبراهيم بعد خلافه المشهور مع الشيخ مبارك الصباح، وربما كانت لغیر ذلك، لأسباب لا نعلمها، بيد أنه لم يستقم فيها طويلا، فهجرها راحلا إلى البحرين ثم أكره على مغادرة البحرين بأمر من السلطة، فتركها شاخصاً ببصره صوب عمان، وكانت عمان حينئذ أكبر دولة في الخليج، لها اسطول تجاري وحربي عظيم. ولها سلطة في جزيرة العرب وفي أفريقيا والهند حيث يخضع لسلطانها جزء من منطقة (بلوشستان). واستقبل في عمان استقبالا يليق. وتردد على أفريقيا في ضيافة ملوكها العرب من آل بوسعيد. ويروي الاستاذ عبدالله الصانع رحمه الله عن صديقه العماني الشيخ عيسى بن صالح قائلا: (إنه قد ضرب بالسهم الصائب من حرية الرأي وإنشاد الخير لقومه العرب مع النزاهة والعفة اللتين تشذّهما الغيرة الملحة من إصلاح الوضع العربي في ذلك الوقت الذي لم نر ولم نسمع من أحد غيره يذكر إنشاء مدرسة أو إقامة ملجأ للمعوزين والزمنى أو بناء مستشفى للمرضى. وقد قدم إلينا منذ أربعين سنة تقريبا ومكث بيننا مرشدا ناصحا ينذر ذرر حكمة في كل ناد يلجّه، ويطلب في كل مَنْ يتوسمه فيه. وعندما اشتدت المحنة وجلّ الأسى، وطمت الفتنة في عمان، واستعرت نيران الحروب بين السلطان السيد فيصل بن تركي والخارجين عليه بزعمامة الإمام محمد بن عبدالله الخروصي واستمر القتل في الفريقين ذهب بنفسه إلى مقر الإمام وناشده الله أن يكف عن القتال وطلب منه أن يتوسط بالصلح لدى الطائفتين المتحاربتين فأظهر الإمام استعدادة لقبول الصلح على يده فرجع إلى مسقط ساعيا لهذه الغاية ولكنه لم يوفق وما عليه بعد الاجتهاد أن لا يكون موقفا. وكان كثير السفر إلى مدينة زنبار، ومن المقربين لدى السادة السعديين سواء بأفريقية أم بعمان وفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف هجرية توجه إلى العراق للعلاج ومن ثم بلغنا أنه توفي رحمه الله).

لقد رحل إلى العراق في عام ١٩١٨م وأقام في البصرة للعلاج ولكن علاج أمشاله من الرجال هو أن يشفى الآخرون من أدواء الجهل والتمرق. فألف كتابا يحكي فيه محنة الخليج العربي والأمة. وكان في نيته أن يطبع

الكتاب غير أن الإنجليز ألقوا القبض عليه وزجوه في السجن ومات في السجن وصودرت مسودات كتابه ولا يُعرف أحد تاريخ وفاته وقد قام الحاج عبدالله الخليل أحد تجار البصرة بإرسال ما خلفه من تركة إلى ذويه في الكويت ثم أسدلت الستارة .

كتاب دليل المختار

هؤلاء هم بعض الذين نعرفهم وقد غادروا من أجل العلم أوطانهم فخدموا أوطانهم . رحلوا إلى مصر على ظهور الجمال أو مشيا على الأقدام أو على ظهور السفن ، لا من أجل تجارة رحلوا ، وليس من أجل العلم وحده رحلوا ، بل كان من أجل الأجل من ذلك كله ، أن يعملوا بعلمهم مجاهدين في سبيل الآخرين . ولا يفوتني قبل أن أغادر هذه السطور من ذكر ابن ماجد عصره عيسى القطامي مؤلف كتاب (دليل المختار في علم البحار) فكتابه هذا وقد ألفه عام ١٩١٥م يعتبر من الكتب الهامة في مسالك البحار والطرق البحرية ، وقد قال في نهايته (تم الطرفان بر فارس والهند وساحل مليبار وسيلان وما يليه مع بر العرب من الخليج العربي القبلي ومهره واليمن والحجاز إلى السويس وما يليه مع مصر وبر الحبشة والصومال وزنجبار وما بعده حسب حاجة اخواننا العرب متقن الطول والعرض) .

هذا هو قوله في نهاية كتابه ولقد كانت رغبته أن يرحل إلى مصر أو بيروت لكن الفرصة لم تُواته وقد قال :

لو علموني هلي في مصر أو بيروت

لاصنع عجائب لم تذكر قبل ما موت

وقد مات رحمه الله في مسقط عاصمة عمان سنة ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م .

هذي هي بعض ملامح البداية أوجزتها مطلقا عليها مرحلة التأسيس فإذا

كان بعد مرحلة التأسيس ؟

النهضة الأولى:

لقد كان أولئك الفتية هم بوادر النهضة الأولى، ومعين خيرها، وإرهاصا لها قبيل مبعثها.

مجلة الكويت

ففي شهر رمضان المبارك من عام ١٣٤٦ هـ الموافق شهر فبراير من ١٩٢٨ م صدر العدد الأول من مجلة (الكويت). فإذا كان قبل هذه المجلة الرائدة؟ وماذا كان بعدها؟

نعلم أن الكويت لم تكن مغلقة النوافذ والأبواب رغم الحاجزين، السور والبحر اللذين كانا يحيطان بها ويحتضنانها. كانت على صلة وعلم بما يجري من حولها. فهؤلاء الناس الذين جاءوا طامعين في بناء مجتمع جديد متجانس، تسوده الدعة ويشمله الاستقرار كانوا حريصين كما علمتهم التجربة وهداهم اليه التفكير على ألا يفوتهم مما حولهم شيء، غير أنهم كانوا يأخذون بحذر ويرفضون بحذر.

لقد اتخذوا لهم منافذ على الصحراء وإلى ما بعدها من مدن عربية عبر بوابات سورهم الطيني. وشقوا عباب الماء بسقمتهم إلى البلدان المجاورة والبعيدة عربية وغير عربية.

زار الكويت عبدالمسيح أنطاكي صاحب جريدة (العمران) في غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٥ هـ الموافق ٤ يناير ١٩٠٨ م فوصف قُرضتها وشوارعها وكشاتها وتحدث عن روابط الكويت بالهند. فللكويت ممثل غير رسمي ووكيل تجاري في بومبي. كان المرحوم سالم السديراوي يرعى شؤون الكويتيين هناك، وخلفه من بعده ابنه محمد سالم السديراوي الذي توفاه الله في الكويت عام ١٩٥٢ م.

نشأ محمد السديراوي في الهند منذ صغره وتعلم هناك ومارس التجارة فكان من خيرة الرجال. كان على صلة وثيقة بزعماء الحركة الوطنية في الهند

من أمثال مولانا ابوالكلام آزاد ومحمد علي جناح وغيرهما . وكان منزله منسدى لأمثال هؤلاء ويجتمع . ولربما استعانت به الحركة الوطنية الهندية في بعض حاجاتها ، ولربما استودعته بعضاً من شؤونها وأسرارها . كما كان من قبله لآل الإبراهيم موضع في الهند وموقع مرموق . يتحدثنا الشيخ عبدالعزيز الرشيد في مجلة (التوحيد) التي كان يصدرها من اندونيسيا في عددها السادس سنة ١٩٣٣م قائلاً : (قرأنا في الهداية الغراء نبأ وصول وفد المؤتمر الإسلامي البصرة وإنه لقي فيها من الاحتفاء ما هو به جدير .. وبعد سفر الوفد من البصرة إلى كراتشي تلقى الوفد وهو في عرض البحر برقية لاسلكية من مواطننا الجليل السيد/ محمد المرزوق يرحب فيها بالوفد باسم أهل كراتشي ، ويدعوه للتزول في ضيافته مدة إقامته وقبول الوفد في ميناء كراتشي بحماس ديني لا مزيد عليه .).

لقد كانت للكويتيين مراكز تجارية في بومبي وكراتشي وعدن ومباسباسا ، وكان منزل المرحوم عبدالله الفلاح في مطلع الثلاثينات في بغداد ملتقى لكل العرب الوافدين إلى بغداد للدراسة أو للتدريس وقد أطلق الأديب زكي مبارك على منزل عبدالله الفلاح اسم (بيت العرب).

إذن لم يكن الكويتيون محصورين ضمن حدود مدينتهم بل كانوا منتشرين في كل هذه البقاع وكانوا على علم بما يجري في كل هذه الأصقاع .

وفي كتاب (دليل المختار في علم البحار) للقطامي ما يدل على هذا الانتشار ويرشد . حدد في هذا الكتاب مواقع البلدان ومجارها البحرية ومسارب طرقها . ومتحها مسجاً دقيقاً . من البصرة مشرقاً إلى الهند وسيلان ومن البصرة غرباً إلى ساحل اليمن والسويس ومن السويس إلى الحبشة والصومال .

فهؤلاء الذين سلكوا كل هذه الفجاج وخاضوا غمار كل هذه البحار ألم يكونوا على صلة بالعالم ؟! .. بلى .

ثورة الخطابي

لقد كانت أنباء ثورة عبدالكريم الخطابي في المغرب العربي تصل إلى الكويت تبعاً .

طُرقت فظنوا في ثيابك طارقاً وذكرتهم أيام طارق فيهمو
هذا بيت من قصيدة للمرحوم عبداللطيف النصف يتدح فيها صاحب
هذه الثورة ومؤججها .

كانت الكويت على صلة برواد حركة الإصلاح في النصف الثاني من
القرن التاسع عشر . إن صلتها بالعراق والشام ومصر كانت وثيقة جداً .

كان الكواكبي الذي توفاه الله عام ١٩٠٢ قد رحل إلى زنجبار، ومَنْ
يدري فلعله التقى هناك بصاحبنا ماجد بن سلطان في زنجبار؟

أمة واحدة . وأسى واحد . عرب كلهم حيثما يمت شطر وجهك
ومسلمون .

في مكة (أمّ القرى) القلب والملتقى ، يلتقون في كل يوم خمس مرات ،
وفي كل عام يتعاقبون مرة ،
<http://Archivebeta.Sakinit.com>

عبدالعزیز الرشید

لقد شاء الله أن يهب الكويت في هذه الفترة رجلاً عظيماً ينطلق بالناس
إلى ميادين في الفكر أبعد وأرحب . ويجدد في نفوسهم وعقولهم صراعا
فكر يا لم تعهد له الكويت مثيلاً من قبل .

ولئن كان عبدالجليل الطباطبائي هو أول من غرس بذرة يقظة الفكر في
الكويت فعبدالعزیز الرشید هو أول من رعاها وعزّزها ورسخها في نفوس
الجماهير .

لقد جاء هذا الرجل في وقت لم تكن الكويت بحاجة إلى شيء قدر
حاجتها إلى رجل عظيم مثله ، يحمل لواء عقل العقول والأفكار ، ويضيء
سبيل المعرفة والحياة .

لقد رحل الشيخ عبدالعزيز الرشيد إلى الأحساء أولاً ثم غادرها إلى مكة والمدينة المنورة ودرس في المدينة المنورة وتولى منصب الافتاء فيها لمدة سنتين رغم صغر سنه وفي المدينة اجتمع بأقطاب الفكر في العالم العربي والإسلامي، برجال من المغرب العربي ومن مصر والشام والعراق والجزيرة وبرجال من الهند وبالعرب الذين يسكنون في أندونيسيا والأصقاع الإسلامية النائية فتوثقت عُرى الصداقة بينه وبين هؤلاء وانعكست صورة هذه العلاقة على صفحات مجلة (الكويت) ومجلة (الكويت والعراقي) ثم مجلة (التوحيد). ثم رحل من المدينة إلى مصر والتقى بالصفوة المختارة من رجال الفكر وعلماء الإسلام أمثال الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة (المنار) والشيخ عبدالعزيز الثعالبي وعرج بعد مصر على الشام ثم بغداد واستقام في بغداد ودرس على يد العلامة محمود شكري الآكوسي ثم عاد إلى الكويت.

الجديد والقديم

إنه رغم أسفاره لم يكن بعيداً عن الكويت كان يزورها بين فترة وأخرى ولقد رغب الناس بالاشتراك في المجلات العربية والمساهمة بالكتابة فيها. فشارت ضجة وقامت قيامة واستل المتحجرون باسم الدين سيوف الدين فكفروا من قرأ هذه المجلات.

ولقد أهاج هذه الحرب على عبدالعزيز الرشيد وصحبه رجل من الأحساء يسمى عبدالعزيز العلجي. كان ضيق الأفق يقد إلى الكويت للاستزاق، واستحل دم ثلاثة من رجال الكويت وصرح لبعض مناصريه بقوله: (إن قتل ثلاثة من أهل الكويت ثمن لدخول الجنة بغير حساب). الشيخ يوسف ابن عيسى، وصقر الشبيب، والشيخ عبدالعزيز الرشيد).

وكانت شرارة الضغينة بين الناس قوله:

إلى الله أشكو من ضلال على عمدة
قلوا كتب الأسلاف واستبدلوا بها
أنتنا به الجهال عن كل مُرتد
سجلات أصحاب المنار على عمد

وحين أفنى بتكفير صقر وحرمان صقر من الجنة قال صقر رحمه الله :

إن كان لا ينعم بالجنة إلا ائـمـرؤ ذو جـنـة
من يصبون عطاياهم في جيبك الفارغ ذي الفحة
فليس لي في جنة مأرب فأعط من شئت بها حصتي
وحين قال العلجي قصيدته التي مطلعها :

عذ بالمهيمن من هوى فتان ما تلك إلا فتنة الشيطان
من كل عصري هواه مرسل ما قيدته ربة الإيمان
إلى آخر أبياته رد عليه السيد مساعد قائلا :

لذ بالاله من الجهول الجاني علج العلوج وفتنة الشيطان
يا ويله من ظالم متعصب هجر الهداة ومال للعصيان
هذا النفاق ومن ينافق فاسق والفساقون بأسفل النيران
حاشا وكلا لست من عبادة بل أنت عبد الدرهم الرنان

ولقد اعان على هذه الفتنة الشيخ أحمد الفارسي الذي يقول من قصيدة طويلة يهجو بها صاحب (المنار) الشيخ محمد رشيد رضا :

(ورب المنار امتاز عنهم بدعوة إلى شرع شيطان عليه بلاء) وكاد يروح ضحية هذه الفتنة رجال كرام ولكن الله سلم فهدأت الفتنة وقد سجلها الشيخ عبدالعزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت الذي صدر عام ١٩٢٦ تسجيلا واعيا، ولكن مما يؤسف له أن تاريخه حُجِر في الجمارك كما سنشرح ذلك إلى أن توفاه الله في عام ١٩٣٩م في اندونيسيا فأُفْرِج عنه بعد موته وقد أكلت معظم الموجود منه الأرضة .

أصدر الرشيد مجلته (الكويت) وهو في الكويت مقيم . كان يطبعها في مصر في مطبعة الشورى ولربما ضاع عدد من أعدادها وهو في سبيله إلى المطبعة فيرسل الرشيد مادة العدد الذي يليه فيصدر ويتأخر عن الصدور العدد الذي قبله . إنها مهمة شاقة ولكن صدور الرجال أرحب مدى .

صدر العدد الأول كما بينا من قبل في رمضان سنة ١٣٤٦ هـ الموافق فبراير ١٩٢٨م وكان يطلق على العدد اسم (الجزء) فيقول (الجزء الأول) ويطلق على (السنة) اسم المجلد فيقول (المجلد الأول).

و (الكويت) كما كتبت على غلافها صاحبها الرشيد (مجلة دينية تاريخية أدبية أخلاقية لغوية شهرية تصدر في الكويت .. رئيس تحريرها ومديرها المسؤول (عبدالعزیز الرشيد) .. سنة المجلة عشرة أشهر وتقدم للمشتريين في آخر السنة كتاباً هدية .. الاشتراك السنوي في الكويت والبلاد المجاورة (تسعة روبيات .. وفي الخارج ١٢ روبية).

وقد أهدى العدد الأول من السنة الأولى للشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت حينئذ وقدّم لها بقوله : (وبعد فإن إصدار مجلة للكويتيين في الكويت أمنية كان الوصول إلى قتها من أسمى ما تنوق إليه النفس ومن أجل ما تتمناه في هذه الحياة، غير أن أشباح المبططات التي ما زلت أبصرها في الطريق كادت ترميني في هوة اليأس ..).

أما أبواب المجلة فهي كما ذكرها صاحب المجلة على صفحات العدد الأول :

١ - الدين .. وفيه البحث عن أصوله وفروعه، وعن عقائده وقواعده وأحكامه وأسرارها .

٢ - رد الشبهات عن الدين - نبطل فيه كل شبهة توجه إليه وإلى أحكامه وإلى النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن مما نخشى أن يكون في الوقوف عليه فتنة لبعض الضعفاء . ومن هذا الباب الجمع بين آيات ظاهرها التناقض والجواب عما يُرى أنه مخالف للواقع منها وليس كذلك .

٣ - الأخلاق - يذكر فيه المهم من حسنها وقبيحها مع بيان ما ينشأ عن القسمين من منافع وأضرار والاستشهاد على كل بما يحسن الاستشهاد به .

- ٤ — القديم والجديد — يدور محوره على مساوىء ومحاسن كل من القسمين ، من عادات وأخلاق وعلوم وآداب ومناهج وآراء .
- ٥ — الأدب — ويعنى قبل كل شيء بالأدب في الكويت وينشر ما تجود به قرائح شعرائنا اليوم ، ثم بالأدب في البلاد التي على ضفاف الخليج كالبحرين وعمان ومسقط وبلاد نجد والأحساء .
- ٦ — التاريخ — ينشر فيه ما فات من تاريخ الكويت الذي طبعناه في بغداد وبالأخص البحث عن القبائل البدوية هناك ، وعن أحوال البيوتات الكبيرة فيها ، وما يسمح الوقت بنشره من حوادثها المستجدة ، ثم نُشِيعه بما نعثر عليه من تاريخ نجد والأحساء والبحرين وعمان وقطر وما جاورها من البلاد .
- ٧ — التراجم — ينشر فيه تراجم القسم الثاني من تاريخ الكويت الذي لم نطبعه إلى الآن ، ويزاد فيه من نرى بذكر تراجم فائدة عامة من الموجودين والماضين أيضا ولو كان خارجا عن شرط القسم الثاني من التاريخ .
- ٨ — الفتوى — فتحناه لجواب كل سؤال لا يخرج عن دائرة المجلة من مشترك أو غيره .
- ٩ — اللغة يُبحث فيه بنوع خاص عن اللغة العامية في الكويت ، وعن كل ما يستفيد منه المبتدئ والمنتهي من الفوائد اللغوية بسائر أنواعها نحوية أو صرفية أو غيرها .
- ١٠ — متفرقات الفوائد — يحوي كل ما لا يدخل في أحد أبواب المجلة من سائر الفوائد على اختلافها .
- ١١ — التقرير والانتقاد — توزن فيه المؤلفات بميزان الإنصاف ويعطى كل منها ما يستحق من تقرير وانتقاد .

الرشد يزور البحرين

وفي ١٥ جمادى الآخرة عام ١٣٤٧ هجرية الموافق ٢٨ نوفمبر ١٩٢٨

ميلادية وصل الرشيد البحرين مغادرا الكويت على ظهر أحد المراكب البخارية ونزل في ضيافة آل القصيبي ويقول الرشيد : (والحق إنني لعاجز عن أن أفني ما يجب علي لأفراد هذه الأسرة الكريمة من ثناء لا لأنهم أكرموا ضيافتي وخففوا آلامي وحسب، بل لما لهم من مكارم .. الخ). ثم قال يثني على أهل البحرين : (وهكذا فالواجب يقضي أيضا بأن أشكر عامة وجهاء البحرين الأكارم وعامة علمائها وأدبائها الأمثال والقائمين بشؤون مدارسها وأنديتها الفضلاء وللحفاوة التي نثروا علي برودها مدة اقامتي ولاظهارهم الرغبة في مقامي بين أظهرهم أستاذاً للمنتدى الإسلامي .. الخ).

إذن لقد خففوا آلامه فإذا هي هذه الآلام ؟ بعد عشرة أعداد من صدور المجلة في الكويت رحل الرشيد إلى البحرين وواصل إصدارها من البحرين وأول ما يطالعنا من أعداد السنة الثانية وهو العدد الأول نرى أن الرشيد يهدي المجلة في سنتها الثانية إلى الملك عبدالعزيز آل سعود، ثم إنه حاول أن تكون المجلة صورة لما يجري في البحرين . تحدث عن متدبائها ونشاط أنديةها ومشاريع الدولة فيها . وهو يقول في فاتحة السنة الثانية (وبعد فليس أشرح لصدر المرء أن يرى أثر ما يقوم به من عمل في نفع دينه وإخوانه ماثلا أمام عينيه في وقت وقف له بالمرصاد أعداء الذاء وخصوم أشداء .. وهكذا يا صاح كانت (الكويت) في سنتها الأولى مع قوم يؤسفني أشد الأسف أنهم من أبناء وطني الذين نالهم من شرف هذا المشروع حظ ونصيب . وهنا لا يسعني وقد رفع الله قدراً أرادوا خفضه، وأحيا ذكراً حاولوا قبره، إلا أن أرفع إليه تعالى أكف الابتال قائلا : اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون).

رسالة الشعالي

لقد حزن العقلاء على فقدته واستبشر الحاقدون والحاسدون ممن لم يثن عليهم ابن الرشيد في تاريخه أو انه أثنى ولم يطعن في الثناء عليهم وهم ما زالوا ممتدين يبحثون عمن يثني عليهم فإن أثنيتم أو لم تثنوا فإنهم لا يعقلون لأن الحاقدين ممن خلفهم الركب من ورائه لا يعقلون .

لقد فقدت الكويت بغياب عبدالعزيز الرشيد ركنا من أركان الفكر. وكتب اليه المجاهد العربي عبدالعزيز الثعالبي يقول: (بحق لأهل البحرين أن يغتبطوا بكم. وحياتك في البحرين تركو وتطيب أضعاف ما هي عليه في الكويت، فرضي الله عن أهل البحرين وأرضاهم فقد عرفتُ منهم خلة تقدير الفضل لذويه قبل اليوم وقد تجلّت لي منهم فيك في هذا اليوم فجزاهم الله عني وعنك أفضل الجزاء ونفعهم بعلمك وفضلك.. الخ) وكتب إليه صقر الشبيب رحمه الله كتابا أودعه قصيدة يثني بها على أهل البحرين لما لاقاه الرشيد منهم من ترحاب، أشير اليها هنا فقط دون أن أثبتها خوفا من الإطالة.

وعند العدد العاشر من السنة الثانية الصادر في شوال سنة ١٣٤٨ هـ الموافق ١ مارس عام ١٩٣٠م ختمت المجلة أعمالها في الكويت والبحرين لينتقل صاحبها الرشيد في عام ١٩٣٠ إلى أندونيسيا وليصدر من هناك مع يونس بحري مجلة (الكويت والعراقي) وقد صدر العدد الأول منها في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٥٠ هـ الموافق ١٣ سبتمبر من عام ١٩٣١م ثم توقفت بعد عشرة أعداد من صدورها فأصدر مجلة (الحق) ومجلة (التوحيد).

ولقد قال في العدد السادس من السنة الأولى: (أراد سمو الأمير الجليل أن لا يقتصر على إصدار مجلة (الكويت) في وطنه وحسب بل أراد أيضا أن يكون بجانبها جريدة أسبوعية باسم (الصباح) تطبع في نفس المطبعة التي استحدثها سموه وقد أصدر أمره بذلك وعهّد بإدارة تحريرها إلى صاحب هذه المجلة) وستصدر قريبا إن شاء الله).

ولم تصدر هذه الجريدة ولا تعلم عن هذه المطبعة التي أشار إليها شيئا. ورحم الله الرشيد الذي توفاه الله غريبا عن وطنه في عام ١٩٣٩م.

(منيرة) أول قصة كويتية

لقد سُطّرت على صفحات مجلة الكويت أول قصة كويتية بعنوان

(منيرة) لخالد الفرج في عام ١٩٢٨م وكتب فيها الرشيد معظم ما فاته من تاريخ الكويت وترجم لكثير من رجال الكويت والخليج والجزيرة العربية واستقطب أقلام ذوي الفكر في العالم العربي ونشر صفحات من الأدب المغربي وتحدث عن القديم وعن الجديد حتى طواه الردى بأسوفا عليه وعلى علمه الغزير وشجاعته النادرة وهمة العالية .

النهضة الثانية :

في ١٧ شعبان من سنة ١٣٥٥هـ الموافق ٢٠ من شهر أكتوبر سنة ١٩٣٦ بعث الشاعر أحمد بن خالد المشاري رسالة شخصية إلى الشيخ عبدالعزيز الرشيد جاء فيها : (.. أما نحن هنا فقد حصل بعض العقلة في سفر المعلمين من فلسطين، بعد أن اتفقنا معهم على كل شيء ، وقدمنا لهم مصرف السفر، وإذا بوليس فلسطين ما يأذن لهم إلا بإجازة من الكويت، وقد صدرت الإجازة من القنصل في الكويت على ما يزعم القنصل مرتين ولكن إلى الآن لم نأخذ خبر سفرهم . المدارس نوعاً ما تغير نظام التدريس فيها وعبدالعزيز العتيقي هو الآن في الكويت، ويأشر بإلقاء بعض الدروس . وعبدالملك أيضا مع كونه كاتب وأمين صندوق المعارف يأشر بإلقاء الدروس في المدرستين . ومن مدة أكثر من شهر نظام المدارس نوعاً أحسن من الماضي .. الخ) .

ومن هذه الرسالة نلتقط ما يلي :

أولاً : ان التدريس في مدرستين في آن واحد كان قائماً لقلة المدرسين .
ثانياً : تأسيس أول إدارة حكومية للمعارف بعد أن ظلّ التعليم مؤسسة أهلية يشرف عليه الأهلون وينفق عليه الأهلون منذ عام ١٩١٠ وهو العام الذي بُدئ العمل فيه بإنشاء المدرسة المباركية التي افتتحت أبوابها للدراسة عام ١٩١١ ومن المعلوم أنّ كل المنشآت ذات النفع العام كانت أهلية قبل أن تكون حكومية، ويشرف على كل منشأة مجلس أهلي يدير شؤونها، ثم حلت

الأزمة الاقتصادية في عام ١٩٣٢ تقريرا فشر المواطنون بوهن عزائهم في الإنفاق على التدريس للإقنار والكساد الذي أصاب التجارة فاجتمع أهل الرأي يتدارسون الأمر للخروج بحلول للمشكلة، فاستقر رأيهم بالطلب من أمير البلاد ليفرض رسما مقداره نصف بالمائة من الدخل الجمركي للصرف على التعليم تحت إشراف مؤسسة حكومية فرأى الأمير أن يستفتي في هذا الشأن أهل الرأي، واجتمع أهل المشورة والرأي في ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هجرية الموافق ٢٨ يوليو سنة ١٩٣٦م فوافق المجتمعون ورفع الأمر للأمير فصدق على الاقتراح. وفي الأول من شعبان سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ١٦ أكتوبر سنة ١٩٣٦م صدر الأمر بتشكيل مجلس المعارف الذي يضم اثني عشر عضوا منتخين من الشعب برئاسة شخص من عائلة الصباح هو الشيخ عبدالله الجابر الصباح وتولى الأستاذ المرحوم عبدالملك الصالح سكرتارية المجلس وصار أمينا للصندوق مع قيامه بالتدريس في المدرستين الأهلية والمباركية.

ثالثا: نلصح في الرسالة موضوع البعثة التعليمية الفلسطينية الأولى وكاتب الرسالة أحد المشاري كان عضوا من أعضاء مجلس المعارف. لقد كان من أهم القرارات التي اتخذها مجلس المعارف منذ أول يوم من انتخابه هو الخطاب الذي بعث به إلى المجاهد الفلسطيني أمين الحسيني لترشيح أربعة من المدرسين. وقد شَرَحَتْ الرسالة ظروف هذه البعثة والعراقيل التي صادفتها بيده أنها وصلت الكويت في ١٤ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٦م وبأشرت التعليم في ٢٠ رمضان سنة ١٣٥٥ هـ الموافق ٣ ديسمبر سنة ١٩٣٦م وفي العام الثاني أي سنة ١٩٣٨م قدم اثنان من فلسطين فصار الجميع ستة مدرسين تعاونوا مع اخوانهم الكويتيين في رسم السطور الأولى للتعليم في الكويت.

واحتفت الكويت بأعضاء البعثة التعليمية أثناء احتفاء وأقيم مهرجان كبير للترحيب بالأساتذة وألقى فهد العسكر قصيدته التي مطلعها:
حي الأساتذة الكرام تحية تُزرى بعرف المسك والريحان

عذراءُ مصدرها سويداءُ الحشا أحلى وأشهى من عروس الحان
فلو أننا نستقبل العيدين في أفراحه لاستبشر العيدين
زهتِ المدارس وانثنى طلابها لقدومكم يتبادلون تهادي
ثم يستطرد العسكر مستعلما عن أبناء فلسطين وأخبار ثورتهم فيقول :
بالله يا رسل الثقافة خبرو نا كيف حال الأخت يا اخواني
أعني فلسطينا وكيف أميها وجنوده وبقيّة السكان
بعد الكفاح وبعدما بثّ اليه سود شروهم فيها بكل مكان
..... الخ

أول مسرحية

وفي عام ١٩٣٨ عرضت في ساحة المدرسة المباركية أول مسرحية تقام في (ليون) المدرسة المباركية وهي مسرحية (اسلام عمر) وقد أخرجها عضو البعثة التعليمية الفلسطينية الأستاذ محمد محمود نجم مدرس اللغة العربية. كان الممثلون يؤدون أدوارهم في (الليون) وهو الواجهة المستوفدة أمام الغرف وكان المشاهدون يجلسون قبالهم في الساحة المكشوفة على كراسيهم المستعارة من صفوف الطلاب والمستأجرة من المقاهي القريبة من المدرسة. وبدأ العرض بعد صلاة العصر وانتهى قبيل الغروب.

وتتوالى عروض المسرحيات وتنافست المدارس فيما بينها ولقد كان للحركة الكشفية دورٌ بارز في الحركة المسرحية وتنشيطها.

لقد وُلد المسرح في الكويت في ظلّ النص المكتوب ولم يبدأ مسرحا ارتجالياً. وولد في ظلّ الفصحى، وظلتّ الفصحى تمتدّ عليه رواقها وتشده إليها وترده كلما حاول الانفلات منها، وتصدّه عن العامية صدىً ملحوظاً حتى أواخر الأربعينات حين جاء النشبي ورفاقه فانحدروا بلغة المسرح واتخذوا من العامية لهم مدرجا.

العامية في المسرح

لقد مهّد النشمي الأرض أمام اللهجة العامية ومهّد الأرض أمام إطالة عمر المسرح المرتجل .

ففي عام ١٩٤٣ قدمت المدرسة الأحمدية مسرحية (الحي الميت) وفي الاستراحة بعد عرض بعض الفصول ومشاهد (الحي الميت) قامت فرقة المدرسة بتقديم مسرحية (أم عنبر) وقد قام النشمي بدور المرأة في أم عنبر لأول مرة في تاريخ المسرح في الكويت وقام الرجيب بدور عنبر .

ام عنبر

وأم عنبر امرأة سوداء كانت فقيرة وكانت مصابة ببلوثة عقلية وولدها عنبر معتوه أكل الجذري وجهه . كان قوي البنية غير أنه كسول لا يعمل . ووالدته حريصة للإتفاق عليه . تجوب الطرقات تستجدي من أجله . وهي مسرحية فكاهية ترمي إلى مكافحة البطالة . وأعطت هذه المسرحية النشمي الضوء الأخضر ليستمرىء العامية ويسير بها بعد أن غادر الرجيب الكويت للدراسة في القاهرة عام ١٩٤٥ .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقد نشطت حركة التعليم فنشط الأدب بكل فنونه ففي عام ١٩٣٩ غادرت الكويت أول بعثة تعليمية إلى مصر وحملت مصر أعباء الإنفاق عليها وتكاثرت الطلبة وتتابعت البعثات فأُسِّس بيت الكويت في مصر عام ١٩٤٥ ليكون للطلبة مستقراً وموتلاً ، ومَجْتَمَعاً يلتقون فيه و يقيمون .

مجلة البعثة

لقد استطاع هذا البيت أن يحقق للطلبة غايات أسمى من كونه مستقراً ومأوى ، فزودهم بمكتبة تصلُّهم بكلّ التيارات الفكرية والعقلية من حوهم في هذا العالم الواسع الكبير وهياً لهم الرحلات داخل القاهرة وخارجها ، وانتَهز كلَّ فرصة لإقامة الحفلات الاجتماعية يخُطب فيها الطلبة ويمثلون الروايات وينشدون الأناشيد ويعزفون الموسيقى ودعا المحاضرين ليحاضروا .

ومن الطرائف التي تروها مجلة البعثة قولها (إنه في يوم الخميس ٢٣ يناير سنة ١٩٤٧ زار البيت بدعوة خاصة حضرة الأديب الكبير الدكتور زكي مبارك وقد تحدث إلى الطلبة في موضوعات عامة أهمها قيمة الروح الشعرية في أسلوب الكاتب. ولم ينس أدينا الكبير ما اشتهر به من الثناء على نفسه وتذكير الناس بفضله، وبعد تناول الشاي اعتمد وهو ينزل السلم على ساعد أحد الطلبة وهو يقول: أنت الآن عمود الأدب).

وأصدر الطلبة مجلة البعثة في أول ديسمبر من عام ١٩٤٦ فالتقى على صفحاتها الطلبة، ووجد الكتاب والأدباء في الكويت فيها متنفسا جديدا.

القصة

لقد عاد على صفحات البعثة كل شيء كان مطويا بعد رحيل مجلة (الكويت) لعبد العزيز الرشيد، وعادت القصة مرة أخرى بعد غياب طال حيث لم يُنشر بعد قصة (منيرة) التي كتبها خالد الفرج ونشرها في مجلة الكويت شيء. «وولدت البعثة وبُعِثَتْ معها القصة من جديد فنشر خالد خلف في العدد الرابع من عام ١٩٤٧م - خاطرة بعنوان (بين الماء والسماء). قد نطلق على هذه الخاطرة تجاوزاً اسم القصة وقد نشرتها البعثة ضمن المقالات التي تُنشر دون الإشارة إلى تميزها بشيء، يتبدأنا نطالع في العدد السابع من السنة الأولى الصادر في يونيو سنة ١٩٤٧م قصة بعنوان (ذئب الصحراء) وفي أعلى الصفحة كُتبت العبارة التالية: (قصة العدد) مما يعني أن هذه هي أول قصة تُنشر بلغة أدبية رفيعة ونلمس فيها أول مسارب الرمز في القصة الكويتية. فقصة (ذئب الصحراء) تحكي ذكريات شيخ بدوي وقور يروي رحلته في الصحراء قبل ستين عاما من تاريخ يومنا هذا، يأوي إلى ظل شجرة فيرى شبعا يدب على يديه ورجليه عاريا كما ولدته أمه يتجه نحو حفرة تقع على مسافة من الشجرة التي يستظلها ثم يخر صريعا، فيُشرع شيخنا البدوي ويلقي عليه نظرة لكنه قد فارق الحياة والدماء من بطنه تسيل ثم يتابع السير إلى الحفرة التي كان الشبح العاري

متجها إليها فيجد فيها رجلا نائما كان ذلك الشيخ العاري يريد امتلابه ثم مضيا كل في سبيله و يعود الشيخ البدوي الوقور معقبا على ذلك الشيخ قائلا: إنه من شردمة قليلة تحتمل أكثر مما يحتمله حيوان الصحراء .. ولا أظن هذا الذي رويت لك حكايته، إلا آخر من يُروى عنه . فإن الصحراء لم تعد الآن إلا في أمن القرية الوادعة ..) .

وتنتهي القصة بتوقيع (ع.ح) أي عبدالعزيز حسين، وتواصل البعثة بعد ذلك نشر القصص المؤلفة والمترجمة، وتصدر مجلة (كاظمة) في شهر يوليو عام ١٩٤٨ لصاحبها ومؤسسها المرحوم الأستاذ عبد الحميد الصانع وقد تولى رئاسة تحريرها الأستاذ أحمد السقاف فتنشر أول قصة للقصاص الكبير (فهد الدويري) بعنوان (من الواقع) ويتتابع القطر ويتواصل النشر مع مجلة (الرائد) التي يصدرها نادي المعلمين ومجلة (الإيمان) التي يصدرها النادي القومي الثقافي . ونرى مثل جاسم القطامي وفرحان الفرحان وعلى زكريا الأنصاري وفاضل خلف وغير هؤلاء من الأساء الذين لا يحضرنى حصرهم في هذه العجالة وقد تفجرت ينباع مخزونهم من كل جانب .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سليمان الشطي

ويتلقف الراية من بعد هؤلاء سليمان الشطي فينشر أولى محاولات جيله (جيل الاستقلال) بتاريخ ١٩٦٢/١١/٢٩ في جريدة صوت الخليج الأسبوعية .

لقد نَشَر قصته (الدفة) وكأنَّ القدر يعني أن هذه القصة ستكون دفة السفينة القصصية لهذا الجيل الذي نعيشه، وقد أعطانا نبذة عن تاريخ القصة الكويتية في مقدمة مجموعته القصصية (الصوت الخافت) نجبل إليها من أراد مزيدا عن هذا الموضوع .

المسرح

أما المسرح فقد تحدثنا عن بدايته قبل قليل فلقد نشطت الحركة المسرحية

بعد تطور التعليم منذ قدوم البعثة التعليمية الفلسطينية والبعثة التعليمية المصرية التي قدمت عام ١٩٤٢ فاتبعت المدارس في الكويت المناهج المصرية مع بعض التغييرات التي تلائم البيئة المحلية وتنتشر البعثة في عددها الثالث من سنة ١٩٤٧: أن المدرسة الأحمدية قد قامت بتمثيل رواية عُمر العجوز وأن المدرسة القبلية عرضت رواية عبدالرحمن الداخل. وفي صفحة أخرى من نفس العدد كتبت: (قام الزميل حمد الرجيب بتمثيل رواية (أضرار الشيع) تأليف الكاتب الروسي (شيكوف) وتعريب الأستاذ نجاتي صدقي وقدم فريق التمثيل رواية ثانية هي رواية (معركة اليرموك) وهاهي ذي أساء فريق التمثيل في بيت الكويت: محمد خلف، عبدالرزاق العدواني، مهلهل المصنف، حمد الرجيب، عبدالله حسين، محمد الفهد، ابراهيم الملا، جاسم المشاري، نوري عبدالسلام، عبد الباقي النوري، سليمان عبداللطيف المدير، محمد الحريش.



اوائل المسرحيات المؤلفة

ونشرت البعثة على صفحاتها مسرحيات عدة كتبت بالفصحى، وأول هذه المسرحيات (مسرحية من الجاني؟) لحمد الرجيب عام ١٩٤٧م وتلتها مسرحيات أخرى منها (لوزدت زاد السقا) بقلم مستعار ومسرحية (خروف نيام نيام) عام ١٩٤٩ لحمد الرجيب ومسرحية (مهزلة في مهزلة) وهي مسرحية وضع فكرتها الرجيب ونظمها شعراً أحد العدواني وصدرت عام ١٩٤٨.

لقد كان هذا النشاط في بيت الكويت في القاهرة يقابله نشاط آخر في الكويت.

كان عام ١٩٤٤ موسماً حافلاً للمسرح في الكويت تنافست المدارس الأربع وتبارت فيما بينها، الأحمدية والمباركية والقبلية والشرقية. فقدمت في هذا العام مسرحية (بلقيس) ومسرحية (حرب البسوس)

ومسرحية (فتح الأندلس) و(صلاح الدين)، وقدمت في عام ١٩٤٥ مسرحية (وفاء) وقام الرجيب بإخراجها وقد وُلدت للرجيب طفلة وهم يعرضونها فقال الرجيب (إنَّ اسم طفلي ولد معها) فسماها (وفاء). وقد عُرضت مرة أخرى على مسرح مدرسة الصباح وقام الرجيب بإخراجها. وحين جاء الرجيب من القاهرة عام ١٩٥٠ كان أول شيء صنعه هو إخراج مسرحية (البخيل) لموليير.

أما بالنسبة للنشمي فقد كان عام ١٩٥٠ عاما فاصلا فيما يتعلق بحياته المسرحية لقد أُرسل النشمي للقاهرة في صيف عام ١٩٥٠ لحضور تدريبات ودراسات في الحركة الكشفية فاختلف إلى مسارح القاهرة وأعجب بمسرح الريحاني وببعض شخصيات هذا المسرح فرآه مسرحاً منسجماً مع مزاجه وروحه ومنذ ذلك الحين اختمرت في ذهنه فكرة انشاء فرقة مسرحية شعبية على غرار هذه الفرق المسرحية التي تعج بها القاهرة وتزخر.

وبقى بعد عودته ثلاث سنوات وهو يعد العدة لتشكيل هذه الفرقة المسرحية الشعبية

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

وشهدت أواخر شهر عام ١٩٥٤ ميلاد (فرقة الكشاف الوطني). وعرضت الفرقة في أوائل عام ١٩٥٥ أول مسرحية لها من تأليف النشمي هي مسرحية (مدير فاشل) وأطلق النشمي ورفاقه بعد هذه المسرحية اسم (المسرح الشعبي) على مسرحهم وقاموا بعدة عروض مسرحية وقد فصلت كل ذلك في ترجمة النشمي التي نشرت في مجلة البيان عدد رقم ١٩٣ وسُيِّسَر هذه الترجمة في كتابي (أدباء الكويت في قرنين) الجزء الثالث الذي سيصدر هذا العام.

وبعد أن أثار مسرح النشمي اهتمام الناس بمسرحياته المرتجلة، تقدمت وزارة الشؤون إلى إدارة المسرح الشعبي برغبها في ضم الفرقة إليها. ولظروف مالية خانقة وأسباب أخرى وافقت الفرقة على الانضمام لوزارة الشؤون.

واستدعت دائرة المعارف في عام ١٩٥٨ الأستاذ زكي طليمات بناء على رغبة الشؤون الاجتماعية حيث كانت دائرة المعارف مسؤولة عن تنظيم الموسم الثقافي السنوية وألقى في إطار هذا الموسم زكي طليمات محاضرتين الأولى بعنوان (أضواء على تاريخ المسرح العربي) والأخرى بعنوان (المسرح والوعي الاجتماعي).

ثم قدم تقريراً للشؤون الاجتماعية بناء على رغبته رسم فيه تصوّره لمستقبل المسرح وخطة تكوينه في الكويت وبعد عام استدعته الشؤون ليعمل في الكويت للإشراف على الحركة المسرحية.

وتأسس المسرح العربي في ١٠/١٠/١٩٦١ لتبدأ به مرحلة جديدة من تاريخ المسرح في الكويت تحت إشراف زكي طليمات وتوجيهاته. هذي هي قصة المسرح الكويتي حتى بداية الاستقلال ولنا عنه حديث آخر مستقل في القريب العاجل إذا أذن الله.

ARCHIVE

الشعر

أما الشعر فلا أريد أن أجزم بحوله كثيراً سأحدث عنه باقتضاب شديد فلقد بدأ مع النهضة الأولى التي أشرنا إليها متواكباً مع طلائعها وهو من طلائعها. مُتَلَمَّساً قضايا الناس اليومية ومشاكلهم الاجتماعية كالماء، والتعليم، متطلعاً نحو قضايا أمته. وقد بَسَطَ الأستاذ الدكتور خليفة الوقيان القضية العربية في كتابه (القضية العربية في الشعر الكويتي) بسطاً لازمياً عليه، ومسح الدكتور عبدالله العتيبي القضايا الاجتماعية في الشعر الكويتي العامة مسحاً موفقاً غير مسبوق إليه.

ولكن لا بد من الإشارة إلى اثنين من رواد النهضة الأولى ظلّ لرواد النهضة الثانية ملاصقين، وهم ممتدين، أولهما عبداللطيف النصف الذي يصفه الدكتور خليفة الوقيان بمتانة النسيج الشعري وثانيها خالد الفرج الذي توفاه الله عام ١٩٥٤ بعد حياة قصاها في صميم حياة هذه الأمة ومشاكلها. أما أبرز

شعراء النهضة الثانية فأولهم فهد العسكر الذي نَقَلَ الشعر من زوايا رجال الدين ليضعه أمام الناس وجهاً لوجه مجسداً بشعره ما تحترزه أضلعهم من أشجان وألحان ويسعى من ورائه ومن أمامه الشاعر عبدالمحسن الرشيد وإن كان يفوقه من ناحية عمق الفكرة.

أما الشاعر الآخر فهو أحمد العدوانى الذي خرج عن مألوف الشعر المباشر إلى الرمز الموحى والإحساس المعبر (وخلَّص القصيدة من أسر المناسبة) فقصيدته (نداء) أولى هذه المرحلة حيث يقول فيها :

رعاة الشاة! في دهم الروابي أفيقوا فالحمى وشك انتهاب
توسدت الشعالبُ جانبيه ولايتُ حوله ظُلُوسُ الذئاب
ومن بعدها قصيدة (راس) :

كان في بعض الديار شبح خلف منار
... الخ

ويقول عنها فهد الدوري : (إن هذه القصيدة قد أخرجت الشعر من أساره). وقبل أن اختتم هذه الكلمة أود أن أشير إلى أن علي السبتي هو أول من أخرج الشعر في الكويت من أسر القافية الواحدة إلى التجربة الجديدة في قصيدته (رباب) التي نشرها عام ١٩٥٥م. وسأخرجكم من أسر هذا الحديث فأكتفي بالكلام عند هذا الحد تاركاً الحديث عن المرحلة الحالية في الشعر والقصة والمسرح لوقت آخر إن شاء الله.

خالد سعود الزريد



الغائبون

شعر: مختار علي ابوغالي

رَكِبْنَا إِلَيْكَ الْمَتَى صَاغِرِينَ
وَجِئْنَا بِمَنَّاكَ مِنْ سَفَرٍ قَاصِدِينَ
فَنَحْنُ عَرَفْنَاكَ يَوْمًا .. وَكَانَ
الَّذِي قَدْ عَرَفْنَاهُ مِثْلَكَ يَقِينًا
أَتَيْنَاكَ مِنْ بَلَدٍ مَيِّتٍ
وَنَحْنُ أُنْقَالْنَا مَيِّتِينَ
فُسُفَّتْ إِلَيْنَا سَحَابًا ثِقَالًا
وَأَخْيَيْتَ مَا كَانَ قَدْ مَاتَ فِيْنَا

• - • - •

عَزِيزُ عَلَيْنَا غَدَاةُ التَّقِينَا
فَلَنْ تَسْتَذِكْ .. وَلَنْ تَمْتَكِينَا

وَجِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا حَبِيبِي
فَكُنْتَ حَيَاةً .. وَكُنَّا مَمْنُونًا
عَلَى أَنْهَاءِ وَخْرَةِ السَّيْفِ فِينَا
نُعَانِقُ سَطَوَتَهَا شَاكِرِينَ
لَأَنَّا قَلِيلٌ .. وَأَنْتَ كَثِيرٌ
فَجِئْنَا نَمُوتُ .. لِتُبْعَثَ حِينَا
وَتُخَضَّتْ بِنَا الْبَحْرُ لَمَّا التَّقِينَا
فَخُضْنَا بِكَ الْبَحْرَ .. مَاءٌ وَطِينَا
فَضَرَبَتْهُ قَاسٌ لِكِسْرِي، وَقَبِضَرُ
خَرُّوا لَهَا رُكْعًا سَاجِدِينَ !!
وَلَمَّا انْتَهَيْنَا مِنَ الْأَرْضِ ظُرُوعًا
فَتَحَّنَا السَّمَوَاتِ فَتَحًا مُبِينًا
فَطَرَكْنَا إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى
وَطَرَقْنَا إِلَيْهَا .. صَلَاةً، وَدِينًا
وَقَابَ لَنَا الْوَقْتُ .. لَفْظًا وَمَعْنَى
جَعَلْنَاهُ فِي الشَّعْرِ سِرًّا ذَفِينًا
فَلَوْ يَغْلَمُ الْمَالِكُونَ هَوَاهَا ..
وَأَهْ !! فَلَوْ يَغْلَمُ الْمَالِكُونَ
لَكَانُوا أَسَازِي عَبِيدَ لَهَا ..
وَكَانُوا عَلَى حُسْنِهَا جَالِدُونَ
وَلَكِنَّهُمْ حَصَدُوهَا شَعْرًا ..
وَنَحْنُ حَزَنْنَا عَلَيْهَا الْبُطُونَا
وَلَهُمْ عَصَرُوهَا مِنَ الْكَرَمِ صِرْفًا
وَنَحْنُ عَصَبْنَا عَلَيْهَا الْجَبِينَا

دَعُوا الْكَاسَ .. لَا يَبْضَطُ لِنُكُم لَفْظَهَا
فَلَسْتُمْ عَلَى حَرْهَا قَادِرِينَ
فَلَوْ أَنَّ خِيراً تَبِي رُبُّهَا ..
لَكُنَّا .. وَلَكِنَّهَا لَنْ تَكُونَا !!

• - • - •

وَلَقَّتْ أَحَادِيثُنَا الْخَافِقِينَ
وَعُشْنَا عَلَى ذِكْرِهُمْ سِينَا
وَدَارَتْ بِنَا الرُّسْ شَيْئاً قَشِينَا
وَلَمْ نَذِرْ أَنَا فَقَدْ ذَكَ جِينَا
نَسِينَاكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ
وَكُنَّا نَسِينَا .. بَأْنَا نَسِينَا !
وَلَمَّا أَقْبْنَا عَلَى خَشْرَةٍ
وَحَلَّتْ بِنَا لَغْنَةُ اللَّاعِينَا
وَجَدْنَا الذُّبَابَ تَدَاعَتْ إِلَيْنَا
كَمَا تَدَاعَى لَهَا الْآكِلُونَ
ظَلَبْنَا الشُّيُوفَ .. وَلَكِنَّهَا
سَمِعْنَا لِصَوْتِ الشُّيُوفِ أَيْنَا
لَأَنَّ الشُّيُوفَ بِأَغْمَادِهِمْ ..
عَلَاهَا الْغُبَارُ !! وَكَانَتْ مُتُونَا
نَظَرْنَا الْخُيُولَ، وَأَغْرَافُهُمْ ..
وَكَانَتْ أَحَادِيثُهُمْ شُجُونَا
تَهُوُّ الْجِمَادُ .. وَفُرْسَانُهُمْ
تَهُوُّ .. وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَهُوْنَا
وَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ..
هَئَالِكَ .. وَابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ

• - • - •

خَرَجْنَا نَسَائِلُ عَنْكَ النُّجُومُ
فِيخْتَبِي النُّجُومُ مِنَّا .. حَزِينَا
وَنَسْأَلُ عَنْكَ السَّحَابَ الثَّقَالَ
فَتُفْطِرُونَا الشُّجْبَ دُمْعاً ثَخِينَا
شَرِبْنَا مِنَ الْبَحْرِ مِلْحاً الْجَاجَا
عَلَى ظِلْمٍ .. وَظَلَمْنَا الظُّلُومَا
وَمَا يَشْنَنُ مِنَ الْبَحْرِ عَنْكَ
عَفَوْنَا عَلَى جُرْحِنَا مُثْقَبِينَا
وَحِينَ عَفَوْنَا .. رَأَيْتُكَ فِي الْحُلُمِ
كَنْزاً تَوَهَّجَ .. كَنْزاً ثَمِينَا
صَرَخْنَا، وَقُلْنَا: تَغَيَّبْتَ عَنَّا!!
فَقُلْتَ لَنَا: أَنْتُمْ الْغَائِبُونَ!!
وَحِينَ فَتَنَّا الْعُيُونَ الظَّلَامَ
وَكُنْتَ مَلَأْتَ عَلَيْنَا الْعُيُونَ
عَلِمْنَا بِأَنَّا ضَلَلْنَا الطَّرِيقَ
وَأَنَا عَلَى عَلَمِنَا جَاهِلُونَ
وَكُنَّا زَعَمْنَا بِأَنَّا عَرَفْنَاكَ
يَوْمًا .. قَوَا خَيْبَةَ الْعَارِ فِينَا!!
فَلَوْ أَنَّ خَمْرَكَ تَشْبِي الْعُقُورَ
وَلَكِنَّهَا لَذَّةُ الشَّرَابِ
لَأَنَّا نَسَائِلُ عَنْكَ الْمُرَابَ
وَلَمْ نَدْرِ أَنَّكَ تَكُمُّ فِينَا



العروبة والإسلام

د. محمد أحمد خلف الله

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لقى الدكتور محمد أحمد خلف الله محاضرة في مقر رابطة الادباء مساء يوم الاربعاء ١٩٨٢/٤/٢١ بعنوان «العروبة والاسلام» وهذا هو نصها :

أيها السادة. يسعدني أن التقى بكم هذه الليلة على حديث نتناول فيه العلاقة بين العروبة والإسلام، منذ النشأة الأولى لهذه العلاقة وحتى أيامنا هذه — واضعين في الاعتبار أن هذا المسار الطويل لهذه العلاقة، والذي يبلغ فيما نعرف جميعاً أربعة عشر قرناً وتزيد قليلاً مما يمكن التمييز فيه بين مراحل تاريخية ثلاث، لكل واحدة منها طابعها الخاص بها، والمميز لها عن غيرها.

وهذه المراحل الثلاث هي:

(١) — المرحلة التي كانت فيها هذه العلاقة داخل الإطار العربي ليس غيره، والتي تشمل زمن النبي عليه السلام وزمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وكانت هذه العلاقة — فيما نعرفه جميعاً — سيئة أول الأمر في العهد المكي بطوله، ثم أخذت في التحسن إلى أن أصبحت علاقة حميدة في آخر العهد المدني، ونزل فيها من القرآن الكريم ما يخاطب أبناء الأمة العربية بقوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام ديناً» وهي الآية التي نزلت في حجة الوداع، وكانت من آخر ما نزل من القرآن الكريم.

(٢) — المرحلة التي بدأت بخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والتي خرج فيها الإسلام من الإطار العربي إلى الإطار العالمي الفسيح، والتي استقطب فيها الإسلام أناساً من خارج الجزيرة العربية.. ولقد بلغت هذه المرحلة من الطول ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً كانت العلاقة فيها حسنة جداً.

(٣) — ثم المرحلة الثالثة والأخيرة، وهي التي تبدأ منذ قرن تقريباً، تنقص قليلاً أو تزيد قليلاً، وكانت العلاقة فيها سيئة إلى الغاية، من حيث أنها المرحلة التي أخذت فيها كلمة العروبة معنى سياسياً ومفهوماً قومياً جديداً — بعد أن نشأ مبدأ القوميات وأخذت فيها كل أمة تتعرف على ذاتها، وتحدد مقومات وجودها وتسعى في سبيل تحقيق دولتها القومية التي تنطبق فيها حدودها السياسية على حدودها القومية.

لقد أخذ بعض أبناء الأمة العربية بهذا المبدأ، وأخذوا يسعون في تحقيق الدولة القومية التي تنفصل عن الدولة العثمانية وتصبح دولة مستقلة لها حدودها القومية.

إنه عند ذلك ظن بعض الناس بالقومية العربية السوء، وراحوا يعارضونها باسم الإسلام، ويذهبون إلى أنها الدسيسة الاستعمارية ضد الإسلام، وأن

الاستعمار يعمل على أن تكون الوحدة العربية هي البديل عن الوحدة الإسلامية — الأمر الذي نراه نحن غربيا وخارجا على حدود الإسلام والدين، كما سوف نرى .

ويسعدني أيها السادة حقاً أن يكون القرآن الكريم هو المصدر الأول عند الحديث عن هذه العلاقة — وذلك للاعتبارات التالية :

الاعتبار الأول : أن القرآن الكريم هو المنشأ الأول للعلاقة بين العروبة والإسلام حين انشأ الإسلام في الأرض العربية، وحين كان الوحي من الله للنبي العربي محمد بن عبدالله عليه السلام . ومن هنا كان لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم للتعرف على كيفية نشأة هذه العلاقة، واعتبار هذه النشأة الجذور التاريخية للعلاقة بين العروبة والإسلام .

الاعتبار الثاني : أن القرآن الكريم هو السجل الصادق لتطور هذه العلاقة، وهو الموجه الأول لتنمية هذه العلاقة . فلقد رعاها يوم أن كانت العروبة ترفض الإسلام في العهد المكي، ورعاها والعروبة تتقبل الإسلام بالتدرج في العهد المدني، ثم صور لنا ذلك كله في حوار فكري، وفي صراع جسدي حين صور الجدل القوي العنيف بين النبي عليه السلام وأهل مكة، وحين صور لنا الغزوات والحروب التي قامت بين المسلمين من الأنصار والمهاجرين، والمشركين من سكان الجزيرة العربية .

والتعرف على كل هذه الحقائق من القرآن الكريم هو الذي يكشف لنا عن الأبعاد الحقيقية لهذه العلاقة .

الاعتبار الثالث : وهو الأهم من وجهة نظري، هو أن صيغة العلاقة بين العروبة والإسلام كما صاغها القرآن الكريم سوف تكون المعيار الذي نزن به أقوال الذين يظنون بالعروبة ظن السوء، وسوف تكون الاجابة السليمة على تحديات الذين يتحدثون العروبة باسم الإسلام .

القرآن الكريم أيها السادة هو سبيلنا الوحيد للتعرف على أبعاد هذه العلاقة، وللدرد على الرافضين للعروبة باسم الإسلام .

والآن ماذا قال القرآن الكريم عن هذه العلاقة ..

يمضي القرآن الكريم أيها السادة على أن الإسلام ليس إلا النظام الديني للأمة العربية أولاً، وقبل كل شيء . النظام الذي نزل من السماء ليكون البديل عن الانظمة الأخرى التي كانت الأمة العربية تمارس حياتها على أساس منها .

يقول الله تعالى: « وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة — وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

ويقول: « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ... » ويقول على لسان محمد عليه السلام: « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء، وأمرت أن أكون من المسلمين، وأن أتلو القرآن فن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين » .

ويقول: « لإيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف » .

ولم يقف القرآن الكريم عند هذا الحد من الحديث على أن الإسلام هو النظام الديني للأمة العربية، وإنما مضى إلى ما هو أبعد من ذلك فكشف لنا عن الجذور التاريخية لهذه الحقيقة، واكسبها بذلك لونا من القداسة الدينية .

فعل القرآن الكريم ذلك عندما تحدث عن الإسلام على أنه قد كان استجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليها السلام بخصوص ذريتهم العربية . يقول الله تعالى: « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » .

ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك، ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويزكيهم، إنك أنت العزيز الحكيم » .

هذا فيما يخص الهدف من الدعوة . الهدف الذي يتحقق بتعليم الأمة

العربية — الأمة الأمية — الكتاب والحكمة، لاجراجها مما هي فيه من ضلال .
أما فيما يخص موقف الرفض للإسلام . الرفض العربي، فنحن نكتفي بما ورد
في القرآن الكريم من إصرار العرب على الإبقاء على النظم المتوارثة عن الآباء
والأجداد حين كانوا يقولون حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا — أي حسبنا أن
نمارس حياتنا على نفس الأسس التي كان آباؤنا يمارسون حياتهم على أساس
منها .

وفي القرآن الكريم طلب من النبي عليه السلام، وتوجيه له أن يقول
لهم : أولو جثكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم أو يقول لهم منكرا تقديسهم
لترائهم الثقافي : أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون .

وليس يخفى عليكم أيها السادة أن القرآن الكريم في رده عليهم إنما يشير
إلى حقيقة اجتماعية تكون الباعثة على التغير في النظم الاجتماعية، وهي
التي تتمثل تارة في كون النظم القائمة لم توضع على أساس من الحق والعدل
وإنما وضعت على أساس من الهوى والغرض الذي يجيء بعيداً عن العقل
وعن الهداية، أو التي تتمثل تارة أخرى في كون النظام القائم قد وضع فيما
مضى على أساس من الحق والعدل لكن الزمن الحالي قد جاء بنظام آخر
أصلح منه، وأهدى إلى الحق والعدل عند ممارسة الحياة — أولو جثكم
بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم .

ويبقى بعد ذلك الحديث عن صراع النظم الدينية التي كانت قائمة في
المجتمع العربي، أو وافدة على المجتمع العربي، وكلها إنما يؤكد أن الإسلام
المتصارع معه ليس إلا النظام الديني للأمة العربية أولاً، وقبل كل شيء .

كان هناك نظام ديني ثابت ومتوارث وأصيل في البيئة العربية، وهو
نظام الشرك . وكان قد أصبح غير صالح للحياة . وكان هناك نظام ديني
وافد هو النظام الديني الكتابي الذي يدعو إلى اليهودية أو النصرانية . وكان
المؤمنون بهذين النظامين يرون أنها أو الواحد منها هو النظام الديني الذي
سوف يهدي العرب ويخرجهم مما هم فيه من ضلال . وهذا هو الأمر الذي

يصوره القرآن الكريم حين يقول : « وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا .. قل ملة ابراهيم حنيفا .. »

أي أن اليهودية أو النصرانية ليس فيها هداية جديدة للأمة العربية وإنما الذي فيه الهداية هو ما دعا إليه ابراهيم عليه السلام من قبل . وذلك هو الذي يؤكد قول القرآن الكريم : « قل : انني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديننا قيا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » وقوله : « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانياً — ولكن كان حنيفا مسلماً .. »

الصراع الذي كان قائماً بين النظم الدينية يومذاك ، وهو الصراع الذي حدد أبعاده القرآن الكريم إنما ينتهي بنا إلى تلك الحقيقة التي اشرنا إليها من قبل وهي ان الإسلام إنما هو النظام الديني للأمة العربية أولاً وقبل كل شيء ..

وهذه الحقيقة أيها السادة هي التي تجعل العرب في كل مكان يرون في الإسلام ديناً قومياً لهم — قبل أن يكون ديناً عالمياً لكل الناس .

وهنا نقف لتجلية هذا الموقف الذي انتهينا إليه من قول بأن الإسلام هو النظام الديني للأمة العربية .
<http://Archivebeta.Sakhi.net>

إن هذا الموقف لا يمكن أبداً أن يحمل معنى عدم عالمية الإسلام . فالإسلام ديانة عالمية — ولكن عالميته لا تتحقق الا بعد أن تتحقق له عروبه .

إن الإسلام كنظام ديني للحياة كان لابد له من خوض تجربة تقوم على ممارسته عملياً في مجتمع ما أو في قوم بأعيانهم . ولقد اقتضت حكمة الله أن يكون المجتمع البشري الذي تجري فيه التجربة هو المجتمع العربي .

والتاريخ الإسلامي نفسه يؤكد هذه الحقيقة ولا يخرج بها عن الإطار العربي . فالإسلام كنظام ديني لم يخرج مكانياً عن إطار الجزيرة العربية حتى وفاة النبي عليه السلام . وكان الذين يمارسون حياتهم على أساس منه هم عرب شبه الجزيرة .

و يوم أن أعلن محمد عليه السلام في الناس قول القرآن الكريم: « اليوم أكملت لكم دينكم، واتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا » إنما كان يقصد العرب. والعرب ليس غير. فهم المقصودون بهذه الآية.

وظل الإسلام كنظام ديني محصورا في المجتمع العربي، وفي شبه الجزيرة أيام أبي بكر رضي الله عنه، ولم ينتشر في الأرض ويخرج من نطاق الجزيرة إلا في زمن عمر رضي الله عنه.

التجربة الإسلامية تجربة عربية أولا وقبل كل شيء — أي تجربة قومية بالنسبة للأمة العربية التي كانت موجودة زمن النبي عليه السلام. وزمن أبي بكر رضي الله عنه.

والآن لنقف قليلا مع القرآن الكريم لننتين أبعاد هذه التجربة الإسلامية، ولنسرى من آيات القرآن الكريم كيف كانت هذه الأبعاد عربية، أولا وقبل كل شيء.

والبعد الأول، والأصيل، من أبعاد هذه التجربة الإسلامية أنها اتخذت من اللغة العربية وعاء ثقافياً لها. فلهذا العرب القومية هي الوعاء الثقافي والفكري للتجربة الإسلامية.

والقاعدة العامة في ذلك هي الإشارة القرآنية إلى أن جميع الرسائل السماوية إنما تحيء في اللغة القومية، وذلك هو المضمون المستفاد من قول الله تعالى: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم... »

وذلك يعني فيما هو الواضح لنا جميعا أن اللغة القومية إنما تكون ليحل الفهم للرسالة السماوية والوعي بمضامينها الدينية والاجتماعية وبكل ما فيها من قيم ثقافية، ومعايير سلوكية.

والى جانب هذه القاعدة العامة التي تشير فيما تشير إليه، أن رسالة محمد عليه السلام سوف تكون بلغة قومه الذين بعث فيهم وأرسل إليهم، توجد قاعدة خاصة ينصب فيها النص القرآني على العلاقة بين العروبة والإسلام انصباباً مباشراً:

يقول الله تعالى: «ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يعلمه بشر. لسان الذي يلحدون إليه أعجمي، وهذا لسان عربي مبين»
ويقول: «فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً»
ويقول: «وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين»
ويقول: «فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون»
ويقول: «وهذا كتاب مصدق، لسانا عربيا، لينذر الذين ظلموا، وبشرى للمحسنين» .

وهذه القاعدة الخاصة يمكن مساندتها بالعديد من الآيات القرآنية التي تنص نصوصا قطعية الدلالة على عروبة القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: «إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون» وقوله تعالى: «كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعملون» وقوله: «إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون»... الخ.

اللغة العربية هي الوعاء الثقافي للرسالة السواء المسجلة في القرآن الكريم المصدر الأول للإسلام. ولم يقف الأمر عند هذا الحد وإنما تجاوزه إلى ما هو أبعد من ذلك حين توقف القرآن عن النزول. فقد كانت اللغة العربية، ولا تزال، الوعاء الثقافي للفكر الإسلامي الذي انتجه المفكرون المسلمون على مر العصور.

وهنا بعض الظواهر التي يصح أن نقف عندها لدورها في الكشف عن العلاقة بين العروبة والإسلام.

والظاهرة الأولى: أن عروبة ما قبل الإسلام لها دور هام في الوعي بالإسلام في كل بعد من أبعاده تقريبا — كما سوف نشير إلى ذلك فيما يأتي، وبعد لحظات.

غير أننا نقف هنا عند الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية من حيث أثرها في فهم معاني المفردات القرآنية.

والظاهرة الثانية: أن اللغة العربية كانت ولا تزال، الأداة التي يؤدي بها الإنسان المسلم واجباته الدينية، حتى ولو كان هذا المسلم غير عربي . فالصلاة لا بد وأن تكون باللغة العربية، ولعله من هنا يرفض المسلمون ترجمة القرآن الكريم إلى غير العربية .

الظاهرة الثالثة: أن الأزمنة والأمكنة العربية لا تزال هي الأساس الديني في تأدية الفروض الدينية . فالتوقيت العربي والأشهر العربية هما الأساس الديني لتأدية فريضة الصوم في شهر رمضان . وتأدية فريضة الحج في تأدية فريضة الحج، وهكذا . والأمكنة العربية هي المعتمدة في الصلاة حيث يتجه المسلمون جميعاً نحو الكعبة في مكة، وهي المعتمدة في الحج حيث يذهب الناس كلهم إلى البلاد العربية: مكة، وعرفات، ومنى والمزدلفة . وهي المعتمدة في العمرة أيضاً .

إن هذه الظواهر الثلاث، إلى جانب ما قدمنا من إشارة إلى الوعي الثقافي للإسلام، إنما تؤكد قوة العلاقة فيما بين العروبة والإسلام . ويرز بصفة خاصة دور العروبة في حياة الإسلام وهو دور بارز يؤذن لنا في القول بأن العروبة هي الإطار العام . وإن الإسلام له النصيب الأكبر في هذا الإطار — ولكنه ليس النصيب الأوسع من حيث أن العروبة تتسع للإسلام ولغير الإسلام من الأديان السماوية . ومن القيم الثقافية العربية الناجمة عن اجتهادات الفكر البشري في تقديم الحلول لمشكلات الإنسان في هذه الحياة .

• • •

أيها السادة: نستطيع أن نأذن لأنفسنا الآن بالانتقال من العام إلى الخاص . بالانتقال من الوعي الثقافي إلى ما في داخل هذا الوعي من مكونات . وسوف نختار من هذه المكونات عنصراً من عناصر المعتقدات، وعنصراً من عناصر العبادات، وعنصراً من عناصر المعاملات أو القضايا الاجتماعية التي يبرز فيها حقوق الناس على الناس، لنتبين من كل عنصر من هذه العناصر كيف صور القرآن الكريم العلاقة بين العروبة والإسلام،

وكيف كان العنصر البارز في هذه العلاقة هو عنصر العروبة وليس عنصر الإسلام — اللهم إلا إذا اعتبرنا الإسلام أهم عنصر من العناصر التي تطبع العروبة بطابع خاص .

والعنصر الذي اخترناه من عناصر العقيدة الدينية هو أهم عنصر فيها وهو: الله .

الله قديم، وهو المبدع للكون بمن فيه، وما فيه . ولم يغب أبدا عن ذهن المجتمع العربي فقد كان حاضرا فيه قبل الإسلام وهذا هو الذي يؤكد القرآن الكريم حين يقول :

«ولئن سألتهم: من خلق السموات والأرض، وسخر الشمس والقمر، ليقولن الله...»

«ولئن سألتهم: من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله..»

«فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون...»

الله حاضر في ذهن الإنسان العربي قبل أن يكون الإسلام — ولكنه لم يكن وحده في هذا الحضور فإنما كان إلى جانبه آلهة أخرى . ومن هنا كان الشرك الذي يعني تعدد الآلهة بوجود شركاء لله .

والآلهة التي كانت موجودة إلى جانب الله هي اللات والعزى ومناه وغيرها — وهي آلهة عربية . وكان لكل اله من هذه الآلهة الباطلة صنمه المقام له حول الكعبة — وقد كانت معروفة عندهم بأنها بيت الله .

إن ما فعله الإسلام أيها السادة هي نظرتة إلى الله على أنه المعبود بحق، وإن غيره من الآلهة إنما يعبد بالباطل . وأن الاخلاص في العبادة ليس يصح إلا لله وحده . إنه من هنا كان اعتراضهم الذي سجله القرآن الكريم عليهم قولهم : أجعل الآلهة إلها واحدا . إن هذا لشيء عجاب . ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق .

والملة الآخرة التي يشيرون إليها هي المسيحية التي تقول بأن الله ثالث ثلاثة. والقرآن الكريم يشير إلى هذا حين يقول: «ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون. وقالوا آلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً...»

المستهدف من الدعوة الإسلامية أن يعبد الله وحده، وأن يرفض ما عداه من الآلهة العربية التي اخترعها هؤلاء الناس لأنفسهم — إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان...

وكانت عبادة الله قديماً في الكعبة التي بناها إبراهيم، ولا تزال عبادة الله تقوم في بيت الله الذي يتوجه الناس إليه في الصلاة ويحجون إليه كل عام.

الله مرتبط بالعروبة في الإسلام، وفيما قبل الإسلام. مرتبط وحده بالعروبة في الإسلام، ومرتبطة مع غيره من الآلهة في عروبة ما قبل الإسلام.

وارتباط الله وحده بالعروبة في الإسلام لا يعني الارتباط بالدين الإسلامي، وإنما يعني الارتباط بالإسلام من حيث هو نظام ديني للأمة العربية، نظام يسمح بحضور الله في العروبة على أساس من الأديان السماوية لغير المسلمين من العرب — أي لأهل الكتاب.

وهنا لابد من وقفة أبها السادة ننتين فيها علاقة العروبة بالأديان السماوية الأخرى — وبخاصة تلك الأديان التي لا تزال حاضرة كالمسيحية واليهودية.

إننا في حاجة إلى هذه الوقفة لتنتين منها إلى أي حد يصح المسيحيون اليوم من العرب القوميين الذين تحتضنهم العروبة على قدم المساواة — في المواطنة العربية — مع المسلمين.

ومما لاشك فيه أن النظام الديني للأمة العربية — وهو الإسلام — إنما جاء ليحل محل الشرك والوثنية باعتباره البديل عنها. ومن هنا يرفض هذا

النظام أن يكون الدين لغير الله .

والآية القرآنية الكرعة : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، و يكون الدين كله لله » إنما تعني ذلك . تعني الإصرار على أن يكون الدين كله لله . ويؤكد هذا المعنى مضمون الآية القرآنية الكرعة : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

أما الموقف بالنسبة للديانة الكتابية ، اليهودية والمسيحية ، فختلف عن ذلك من حيث أن النظام الديني للأمة العربية يأذن بالالتقاء بها عند مستوى معين ويعتبرها من الأديان التي تدخل ضمن إطار الدين كله لله .

والآية القرآنية التالية تحدد مستوى الالتقاء في العقيدة الدينية حين تطلب إلى محمد عليه السلام أن يلتقي مع أهل الكتاب عند المستوى الذي تحدده الآية .

جاء في القرآن الكريم : « يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء : ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، وألا يتخذ بعضنا أرباباً من دون الله . فإن تولوا فقل : أشهدوا بأننا مسلمون »

إن هذه الآية إنما تحدد عبادته الله وحده وبإدراك له في العبادة ، وفي المعتقد . وعند حدود لا يتخذ بعض الناس بعضهم الآخر أرباباً من دون الله — وهو نوع من الشرك الذي يتخذ صورة السلطة الدينية البشرية ، لا الإلهية كما هو الواضح من الشرك .

والذي نلفت إليه الذهن هنا هو أن القرآن الكريم عندما حدد عناصر هذا المستوى الذي يلتقي عنده الطرفان لم يجعل الاعتراف بنبوته محمد عليه السلام عنصراً من عناصر هذا المستوى في اللقاء .

ويؤكد هذا الذي نذهب إليه مضمون آية أخرى من آخر ما نزل من القرآن الكريم هي قوله تعالى : « اليوم أحل لكم الطيبات . وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم . والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم .. إلى آخر الآية » .

إن هذه الآية تحدد بعض العلاقات الاجتماعية بين النظام الديني للأمة العربية وأهل الكتاب. ومن ذلك علاقة الزوجية — أي علاقة النسب والمصاهرة.

إن الزوجة الكتابية تبقى على دينها — أي على عدم الاعتراف بنبوة محمد عليه السلام. والأولاد الذين ينجمون عن هذا الزواج يتبعون في الفكر الإسلامي خير الوالدين ديناً — هكذا يقول الفقهاء.

والذي يعنيننا في هذا المقام هو العلاقة الاجتماعية التي نرى أن تكون أساساً للعلاقات السياسية في المواطنة العربية، وفي القومية العربية.

إن الأسرة هي الوحدة الأساسية في تكوين المجتمع — أي في القومية وفي المواطنة. ونحن الآن أمام أسرة من أبوين مختلفين من حيث النظام الديني، ومن أولاد لهم من حيث العلاقات الاجتماعية أعمام وعمات من المسلمين، وأحوال وخالات من الكتابيين وأمام علاقات للنسب والمصاهرة لا يحول اختلاف النظم الدينية دون إقامتها.

وأظننا بذلك ننهي إلى رأي قاطع هو أن العروبة باعتبارها ذات معنى سياسي ومفهوم قومي لا تحول أبداً في المواطنة وفي القومية بين المواطنين القوميين من أن يكونوا منتسبين إلى أديان سماوية مختلفة — وذلك أمر نريد أن يلقى قبولاً عند العرب الإسلاميين، وتأكيداً عند العرب المسيحيين.

ونقف عند هذا الحد من توضيح العلاقة بين العروبة والمعتقد الديني الإسلامي في الله، لننتقل إلى موضوع آخر هو توضيح العلاقة بين العروبة والعبادة في الإسلام.

وموقفنا هنا سوف يكون مع العبادة الدينية المعروفة باسم الحج. والحج كان ولا يزال، من حيث زمان الحج، ومن حيث مكانه، مرتبطاً ارتباطاً قوياً بالعروبة، من حيث أنه لا يسمى حجاً إن جاء خارج الإطار العربي في الزمان وفي المكان.

والحج، بنص القرآن الكريم، واجب ديني عربي منذ زمن ابراهيم عليه السلام. وجاءت هذه الفريضة الدينية استجابة لدعوة دعاها ابراهيم عليه السلام.

يقول الله تعالى: «وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا، وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ، وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا، وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ .. الخ الآيات من سورة الحج».

ويقول: «إِنْ أُولَ الْأَوَّلِ بَيْتٍ وَضَعُ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِبَيْكَةِ، مَبَارَكًا وَهَدًى لِلْعَالَمِينَ. فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»

ويقول: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ. وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا، وَارِزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ — مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..»

ويقول: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا...»

ويقول المفسرون للقرآن الكريم أن سبب نزول هذه الآية هو امتناع بعض الصحابة عن السعي بين الصفا والمروة من حيث أنه كان سعيًا قبل الإسلام بين أساف ونائلة، فرفع القرآن الكريم عنهم هذا الحرج من حيث أنه سعي بين الصفا والمروة.

إن كل مناسك الحج من طواف حول الكعبة، ومن سعي بين الصفا والمروة، ومن وقوف بعرفة ... الخ إنما كان معروفًا ومعمولًا به عند العرب من قبل رسالة محمد عليه السلام.

إن كل ما جاء به القرآن الكريم إنما هو اخلاص هذه الفريضة الدينية لله وحده، والقضاء على كل ما كان يقوم به الحجاج العرب من تلبية لغير

الله، وإزالة للآلهة الأخرى. والإبقاء فقط على الكعبة: بيت الله.

الفريضة الدينية: الحج، مرتبطة ارتباطاً قوياً بالعرب، لا من حيث زمان تأديتها، ولا من حيث مكان تأديتها، فقط، وإنما من حيث هي مناسك وشعائر أيضاً.

وإذا ما انتقلنا إليها السادة إلى ما هو غير المعتقدات والعبادات، فإن المسألة سوف تكون أبرز، وأقوى، وأوضح.

إن ارتباط الإسلام بالعروبة قوي جداً وواضح جداً بحيث لا يحتاج إلى جدل أو حوار.

وكقاعدة عامة نستطيع أن نقول: إن كل سؤال ورد في القرآن الكريم، ووردت في القرآن الكريم إجابة عنه، إنما هو قضية من قضايا العروبة، ومشكلة من مشاكل حياتها.

ولنقرأ سوياً هذه الأسئلة وهذه الاجوبة.

يقول الله تعالى: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل: قتال فيه كبير، وصدد عن سبيل الله وكفر به، والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل». ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا — ومن يردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر.. الخ»

ويقول: «يسألونك عن الخمر والميسر. قل: فيها إثم كبير ومنافع للناس.. الخ»

ويقول: «ويسألونك عن المحيض قل: هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض.. الخ»

ويقول: «يسألونك ماذا أحل لهم: قل أحل لكم الطيبات.. الخ»

ويقول: «يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل: إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو..»

ويقول: «يسألونك عن الأنفال: قل الأنفال لله والرسول.. الخ»

فالأسئلة الواردة في القرآن هي الأسئلة التي تنبت في الحياة العربية

مصورة مشكلاتها . والإجابة عن هذه الأسئلة هي الإجابة القرآنية أو الإسلامية هي عن المشكلات — أي أن القرآن الكريم إنما ينظم الحياة العربية، ويقدم الحلول لمشكلاتها القائمة .

وإذا ما تركنا الأسئلة والإجابة عنها إلى ما كان يدور من جدل أو حوار بين النبي عليه السلام وغيره، نجد جدلاً وحواراً يدور حول مشكلات الساعة في الحياة العربية. مشكلات النبوة والرسالة والقرآن الكريم، ومشكلات الحياة اليومية للإنسان العربي .

يقول الله تعالى: « ومنهم من يستمع إليك، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه، وفي آذانهم وقراً — وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها . حتى إذا جاءوك يجادلونك، يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين . وهم ينهون عنه وينأون عنه، وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون »

ويقول: « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله، والله يسمع تحاوركما . إن الله سميع عليم . الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم، إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم، وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً »

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ويقول: « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون . يجادلونك في الحق بعدما تبين .. »

فالجدل الذي تصوره هذه الآيات وكثير غيرها إنما يدور حول ما كان يزخر به المجتمع العربي من مشكلات ذهنية حول قيم ثقافية وسلوكية لم تكن قد استقرت بعد، وأخذت الحياة العربية تمارس على أساس منها .

ولم يقف أمر القرآن الكريم عند هذه الحدود من التفاعل بين التراث العربي والنظام الديني الجديد — الإسلام، وإنما تجاوزته إلى البيئة العربية المعنوية، والبيئة العربية المادية، فوقف عندها وصورها لينفذ من هذه الصورة القديمة إلى وضع البديل الجديد. البديل الذي يرقى بمستوى الحياة في المجتمع العربي المعاصر لنزول القرآن الكريم أولاً وقبل كل شيء .

يقول الله تعالى: «والله جعل لكم من بيوتكم سكنا، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم. ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين. والله جعل لكم مما خلق ظللا، وجعل لكم من الجبال أكنانا، وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم — كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.

فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ..»

ويقول: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع، ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق ما لا تعلمون. وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر، ولو شاء لهداكم أجمعين. هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب، ومنه شجر فيه تسمون. ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب، ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»

ويطول بنا المقام أيها السادة إن نحن مضينا في تتبع الآيات القرآنية التي تقف عند البيئة الطبيعية وعند البيئة المعنوية من حياة المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية. إن هذه الآيات تشكل الجزء الأكبر من القرآن الكريم، وتبرز فيها صورة هذا المجتمع العربي بكل ما فيه من إنسان وحيوان وجماد، وبكل ما بين هذه الكائنات من روابط وعلاقات — أي بكل ما نسميه نحن في هذه الأيام بالعروبة. ومن هنا أرى أنه من الخير كل الخير أن ننهي الحديث عن هذه المرحلة الأولى من مراحل العلاقة بين العروبة والإسلام كما صورها القرآن الكريم بتسجيل الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن القرآن الكريم قد صور لنا ألوانا من الصراع الفكري ممثلة في الجدل والحوار، وألوانا من الصراع الجسدي ممثلة في الحروب والغزوات، وأن هذا كله لم يكن إلا صراعا عربيا بين المسلمين وغيرهم — أي بين الداعين إلى الجديد والمتزمين بكل ما يجيء به الجديد من بدائل،

والثابتين على القديم المتمسكين بكل ما فيه من تراث وقيم .

وليس يخفى أن مثل هذا الصراع الذي صوره القرآن الكريم ، هو الذي يحدث في كل أمة تقع فيها تغييرات جذرية تتناول الآراء والمعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والقيم الأخلاقية والمعايير السلوكية . إنه الصراع الذي يحدث في كل أمة للانتقال بها من مستوى حضاري إلى آخر أرقى منه وأقدر على تحقيق السعادة والخير لهذه الأمة .

وعلى هذا نستطيع أن ندرك في سهولة أن الإسلام هو ذلك النظام الجديد الذي استهدفت الحكمة الإلهية منه تعليم الأمة العربية الكتاب والحكمة لإخراجها من الظلمات إلى النور ، وهدايتها إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

إنها الأمة ، وإنه النظام الذي تمارس به هذه الأمة حياتها لتنتقل من طور حضاري سابق إلى طور حضاري لاحق فيه الخير كل الخير .

وهذا يعني بصريح العبارة أن العروبة هي الأصل ، وأن الإسلام هو الفرع .

والحقيقة الثانية : أن القرآن الكريم يدل دلالة قطعية في آخر ما نزل منه من آيات على أن الإسلام كان حتى هذه المرحلة التي نتحدث عنها ديانة قومية — أي نظاما دينيا للأمة العربية التي كانت لا تزال محصورة في شبه الجزيرة العربية .

يقول الله تعالى في هذه الآية التي نزلت في حجة الوداع : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً .. »

فاتحاطيون هنا هم العرب . فهم الذين أكمل الله لهم دينهم ، وأتم نعمته ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

والتاريخ الإسلامي يؤكد هذه الحقيقة . فالإسلام حتى هذا التاريخ ، وبعد هذا التاريخ بقليل ، لم يكن قد خرج من الإطار القومي إلى الإطار العالمي . إنه لم يخرج إلى الإطار العالمي إلا بعد أن بدأت حركة الفتح التي

انتشرت معها العروبة وانتشر الإسلام — الأمر الذي لم يتحقق إلا في خلافة عمر بن الخطاب أما في زمن النبي عليه السلام، وزمن الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقد كان الإسلام لا يزال في إطاره القومي .

لقد اكتملت التجربة الإسلامية في الواقع العربي . واقع الجزيرة ليس غير . وهذا يؤكد أن التطبيق للنظام الديني الإسلامي كان تطبيقاً عربياً بكل ما تتسع له هذه الكلمة من معنى . وإن هذا إنما يعني بصريح العبارة أن العروبة هي الأصل، وأن النظام هو الفرع ما دمنا نستهدف من النظرية أو من النظام الديني التطبيق — أي أن يصبح دستور الحياة لقوم بأعيانهم — قبل أن يخرج إلى غيرهم .

الحقيقة الثالثة : أن ما يشير إليه الفقهاء والمفكرون المسلمون من قضايا في أصول الفقه تدور حول النسخ أو التدرج في التشريع ، إنما يدل دلالة قاطعة على الدور الذي لعبته العروبة في بناء التشريع الإسلامي . فقد كانت أسباب النسخ ، وعوامل التدرج في التشريع ، من الظواهر الاجتماعية : العقلية والنفسية ، لأبناء الأمة العربية المعاصرين لنزول القرآن الكريم .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

والذين يقرءون ما كتبه المفسرون عن أسباب نزول الآيات القرآنية يدركون هذه الحقيقة . فقد كانت أسباب النزول تدور حول وقائع وأحداث من حياة الأمة العربية يومذاك . وهذا يؤدي بنا إلى الأقرار بأن العروبة قد كانت هي الأصل . وأن الإسلام ليس إلا النظام الديني الذي تمارس به هذه الأمة حياتها اليومية وحياتها العامة .

وتكفيينا هذه الحقائق من الحديث عن مرحلة قومية الإسلام وأنها قومية عربية . وننتقل الآن إلى المرحلة الثانية من مراحل العلاقة بين العروبة والإسلام ، وهي المرحلة التي ينشد فيها الإسلام عملياً تحقيق عالميته . وهذه المرحلة تبدأ فيما هو المعروف المتداول ، بالفتح ، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وهنا أمر لابد من الوقوف عنده هو عهد أبي بكر رضي الله عنه .

نعم، ان هذا العهد هو عهد قومية الإسلام أو عروبه، وهو استمرار لعهد النبوة والرسالة من هذه الناحية— ولكنه في الوقت ذاته يبرز لنا قضية لابد من الوقوف عندها من حيث قدرتها على إمدادنا بالمعيار الذي نزن به أقوال أولئك الذين يعارضون العروبة باسم الإسلام، ويدعون إلى إقامة الدولة الإسلامية بدلا من إقامة الدولة القومية العربية. وتلك القضية هي قضية الدولة الإسلامية .

إن عهد أبي بكر رضي الله عنه هو العهد الذي يقدم لنا المفهوم الصحيح عما يمكن أن يسمى بالدولة الإسلامية — المفهوم الذي سوف نتخذ منه المعيار الذي نزن به أقوال الداعين إلى الدولة الإسلامية، والضاربين بالدولة العربية القومية عرض الحائط .

وأول ما نلفت إليه الذهن في هذا المقام هو أن معنى الدولة، ومعنى الحكومة، في أيام أبي بكر، وفي أيام نزول القرآن الكريم لم تكن هي المعاني المعروفة اليوم من أنها السلطة التي تدير شؤون الحياة في المجتمع . لقد كان معنى الدولة حينذاك الشيء الذي يمكن تداوله، وكان هذا الشيء في الاستعمال القرآني هو المال مرة، وهو الأيام مرة أخرى . فقد قال تعالى عن المال: « لكيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم » وقال عن الأيام: « وتلك الأيام نداولها بين الناس » . وكان معنى الحكومة والحكم القضاء والفصل بين الناس في الخصومات والمنازعات .

والآيات القرآنية التي تشير إلى الحكم بما أنزل الله، والتي وردت حيناً في شأن اليهود، وحيناً في شأن النصارى، لم تكن تقصد غير هذا المعنى: الفصل في الخصومات والمنازعات .

جاء في القرآن الكريم: « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ..

إننا انزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين

هادوا، والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله، وكانوا عليه شهداء ..

ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .
وجاء فيه أيضاً : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

وجاء فيه خطاباً لمحمد عليه السلام : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ... الى قوله: أفحكم الجاهلية يغنون، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » .

إن الحكم في هذه الآيات جميعها إنما يعني الفصل في الخصومات بالعدل والقسطاس المستقيم، وهذا إنما يتحقق عندما يحجيء الحكم مستنداً إلى التشريع الذي جاء من عند الله، ويستوي في ذلك أن يكون هذا التشريع وارداً في التوراة عند اليهود، أو وارداً في الانجيل عند المسيحيين، أو وارداً في القرآن عند المسلمين . فلكل منكم جعلنا شريعة ومنهاجا .

والكلمة التي وردت في القرآن الكريم، ولها معنى السلطة التي تدار بها شئون الحياة في المجتمعات هي كلمة الملك . ولم يكن أبوبكر رضي الله عنه ملكاً وإنما كان خليفة — خليفة لرسول الله .

وهنا لابد من وقفة نتبين فيها معنى خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله .

هو خليفته من حيث أنه إنما يخلفه — أي يحل محله لوفاته صلى الله عليه وسلم . ففي أي شيء قد خلفه .
لا يمكن أن يكون قد خلفه في الملك من حيث أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ملكاً، وإنما كان نبياً رسولاً .

ولا يمكن أن يكون قد خلفه في النبوة والرسالة من حيث أن محمداً عليه السلام هو خاتم النبيين وآخر المرسلين بنص القرآن الكريم — وهذا إلى جانب أن المولى سبحانه وتعالى هو الذي يختار الأنبياء والمرسلين، ولم يقع اختياره

على أبي بكر رضي الله عنه ليكون خليفة للرسول عليه السلام .

ولا يمكن أن يكون قد خلفه في السلطة التي يدير بها شؤون الحياة في المجتمع من حيث أن محمداً عليه السلام إنما كان يستمد سلطته من الله باعتباره نبياً رسولاً : « من أطاع الرسول فقد أطاع الله » « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع ، بإذن الله » وأبو بكر رضي الله عنه لم يستمد سلطته من الله وإنما استمدها من الناس في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة الرسول عليه السلام .

ولقد طلب النبي عليه السلام إلى أبي بكر أن يؤم الناس في الصلاة وهو في مرض الموت — ولكن الصحابة لم يتخذوا من ذلك أساساً لاختيار أبي بكر خليفة . من حيث أن الخلافة لم تسلم لأبي بكر إلا بعد صراع عنيف بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وكادت الفتنة أن تقع بعد امتشاق السيوف لولا حكمة الحكماء .

والأمر الذي نؤكد عليه في هذا المقام تلك المقولة التي تروها كتب التاريخ ، والقائلة في شأن أبي بكر رضي الله عنه : لقد رضي رسول الله لديننا — إشارة إلى إمامته لهم في الصلاة ، والنبي عليه السلام مريض مرض الموت — أفلا نرضاه لديننا ؟ <http://Archivebeta.Sa>

إن هذه المقولة إنما تعني أن اختيار الناس لأبي بكر إنما قام على أساس منحه السلطة التي يدير بها شؤون الحياة في المجتمع — وهي عندهم ، وبنص المقولة . سلطة دنيوية ، أو بتعبير عصرنا هذا سلطة مدنية .

و يؤكد هذا المعنى عندنا ما يلي :

أولاً : أن القرآن الكريم قد حارب السلطة الدينية عند أهل الكتاب عندما اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله — أي عندما منحهم سلطة التحليل والتحریم الديني ، وهي في القرآن الكريم لا تكون إلا لله . وليس من المعقول أن يحرم القرآن الكريم السلطة الدينية على أهل الكتاب ، ويميزها لغير أهل الكتاب من المسلمين .

ثانياً : أن اختيار رئيس السلطة الدينية عند أهل الكتاب إنما يتم عن

طريق اختيار الكرادلة له ومن إليهم من رجال الدين لهذا الرئيس . أما في حالة خلافة أبي بكر رضي الله عنه لرسول الله . فإن شيئا من ذلك لم يحدث . والذين اختاروه هم أبناء الأمة العربية الذين حضروا البيعة في السقيفة ، والذين حضروها في مساجد الأمصار — وليسوا رجال الدين من أمثال الكرادلة .

ثالثا : ليس هناك نص ديني من كتاب أو سنة يتعلق بكيفية قيام الخلافة ، ولم يحدث أن عين رسول الله أبا بكر ليكون خليفته — كما فعل أبوبكر فيما بعد حين اختار عمر بن الخطاب ليكون خليفته من بعده .

إن هذا كله يعني شيئا واحدا هو أن خلافة أبي بكر لرسول الله كانت خلافة لرسول الله بأمر رسول الله فيما يخص إمامة الناس في الصلاة ، وفي شئون الدين قياسا على الصلاة . وكانت بيعة من الناس فيما يخص إدارة شئون الحياة في المجتمع — أي عملية سياسية مدنية ، وليست دينية .

والأمر الذي نريد أن نؤكد عليه في هذا المقام أن الله جلّت حكمته قد ترك أمر الخلافة للناس ولم يقيدهم في ذلك بقاعدة معينة . ترك الأمر لهم ليختاروا الشكل الذي يرونه مناسباً لأزمئتهم التي يعيشون فيها . ولو قيدهم بنص لأصبح هذا القيد دينا يتبع مهما تمر الأزمنة وتختلف الأمكنة .

إن نظام الخلافة نظام عربي خالص لم يسبق إليه في الفرس الملكية ، أو في روما الامبراطورية ، كما لم يكن امتدادا للنبوة . انه نظام دنيوي عربي ما في ذلك شك .

وهو نظام عربي أشبه ما يكون بالنظم الجمهورية الحديثة — لولا ما قام به أبوبكر رضي عنه من وضع تلك القاعدة التي استغلت فيما بعد أسوأ استغلال ، وهي حق الخليفة في أن يختار من الناس من يسند إليه الخلافة من بعده .

لقد فعل أبوبكر هذا تفاديا لما حدث في سقيفة بني ساعدة يوم وفاة النبي عليه السلام — ولم يكن النبي قد وقع اختياره على من يخلفه في إدارة

شئون الحياة في المجتمع الإسلامي .

كانت أحداث السقيفة ماثلة أمام أبي بكر رضي الله عنه وهو في مرض الموت ، وخافة أن يحدث هنا ما حدث هناك ، وطلباً للاستقرار وتجنب الفتنة اختار أبو بكر عمراً رضي الله عنها .

والذي فعله أبو بكر انه اختار أصلح الموجودين لأن يخلفه . أما من جاءوا فيما بعد ، وابتداءً معاوية بن أبي سفيان ، فكانوا يختارون أبناءهم ، وأنشأوا بذلك حكم الأسر في الإسلام . وأحالوا بذلك الخلافة إلى ملك عضوض فيما قاله المؤرخون وصفاً لتلك الفعلة التي فعلها معاوية بن أبي سفيان ، خلافة كسروية .

ولنقف عند هذا الحد من الحديث عن هذه المرحلة وننتقل إلى الحديث عن المرحلة التالية التي تبدأ بمرحلة الفتوح العربية التي تحققت في زمن عمر بن الخطاب .

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الإسلام من شبه جزيرة العرب إلى فضاء الله الفسيح . خرج من محيطه العربي ، ومن إطاره القومي إلى حيث تتعدد الألسنة وتختلف القوميات .

والذين خرجوا بالإسلام من مناخه الطبيعي هم العرب الذين أرادوا أن يحققوا عملياً ما يؤمنون به نظرياً من أن الإسلام ديانة عالمية ، وانه صالح للإنسان في كل مكان ، وفي كل زمان ، باعتباره فطرة الله التي فطر الناس عليها .

والفتوحات التي قام بها العرب أخذت تطول زماناً ، وتتسع مكاناً . وشارك فيها فيما بعد من دخلوا في الإسلام من غير أبناء الأمة العربية من أمثال المغول الذين فتحوا الهند وما وراءها . والأتراك السلاجقة والعثمانيون الذين وسعوا رقعة الإسلام إلى أكبر حد ممكن .

ولم تكن الفتوحات هي العامل الوحيد في نشر الإسلام وازدياد عدد

الداخلين في زممرته، فقد شاركت عوامل أخرى في هذا الانتشار من مثل الدعاة والتجار والطرق الصوفية .

ولسنا هنا في مقام من يتحدث عن الكيفية التي انتشر بها الإسلام حتى بلغ ما بلغه اليوم من انتشار في آسيا، وإفريقيه، وغيرها من البلدان، وإنما نحن بصدد التعرف على الظواهر التي تكشف لنا عن العلاقة بين العروبة والإسلام حيثما وجدت العروبة، وحيثما وجد الإسلام .

والظواهر التي يمكن أن نخصيها في هذا المقام هي :
أولاً : ان الإسلام حين خرج من محيطه العربي لم يخرج وحده، وإنما خرجت معه العروبة . وكان الحامل للإسلام وللعروبة هم في أول الأمر العرب ثم العرب المستعربين، ثم الذين أسلموا ولم يتعربوا .

ثانياً : أن حركة التعريب في البلدان التي تعربت كمصر وبلاد الشام مثلاً كانت أقوى وأوسع انتشاراً من حركة الإسلام، فقد تعرب جميع السكان، ولم يدخل في الإسلام جميع السكان، فلقد بقي منهم عدد جم على نظامه الديني السابق للإسلام كالمسيحية واليهودية .

ولقد أخذ هؤلاء العربية وعاء ثقافياً لهم في كل مجالات الحياة حتى المجال الديني . فلقد ترجموا الكتاب المقدس إلى العربية، وأخذ الرهبان والقساوسة يعظون الناس في الكنائس باللغة العربية .

ثالثاً : لم يكن الإسلام هو العامل الرئيسي في التعريب، وإلا تحقّق التعريب في كل بلد دخله الإسلام، وإلا لوقف التعريب في البلدان التي تعربت عند حدود المسلمين فقط . إن ظاهرة عدم التعريب في كل البلاد التي دخلها الإسلام، وظاهرة التعريب عند من لم يدخل في الإسلام من البلدان التي تعربت يدل على أن هناك عوامل اجتماعية أخرى كان لها دخل كبير في التعريب . مثل استقرار بعض القبائل العربية في البلدان التي تعربت، وعدم استقرارها في البلدان التي لم تعرب ..

رابعاً : أن البلدان التي أسلمت ولم تتعرب ظلت علاقة العروبة بالإسلام فيها قوية — شأنها في ذلك شأن البلدان التي تعربت .

إن البلدان التي لم تتعرب لم تفصل الإسلام عن العروبة ، وإنما فصلت ما عدا الإسلام فيها عن العروبة . لقد ظلت متمسكة بلغتها السابقة كوعاء ثقافي لها ، وأداة لغوية تمارس بها حياتها في كل مجال غير المجال الديني الإسلامي .

لقد تغير النظام الديني لبلاد الفرس ، والبلاد التي دخلت في حوزة الإسلام من البلدان التي كانت خاضعة لروما ، وحل محل تلك النظم الدينية الإسلام . حل بعروبه كاملة من غير أن ينتقص منها شيئاً . فالصلاة تؤدي بالعربية ، والقبلة التي يتوجه إليها المصلي هي الكعبة — بيت الله القائم بمكة ، وهي أرض عربية . والحج يؤدي في البلدان العربية في الأزمنة المحددة بالأشهر العربية ، وفي الأمكنة المحددة من الأرض العربية حيث تكون التلبية باللغة العربية ، وحيث يكون الطواف في أرض عربية والسعي بين الصفا والمروة في أرض عربية ، والوقوف بعرفة في أرض عربية ، وهكذا . والصيام كذلك موقوت بالأشهر العربية ويعرف على وقته بالأهلة — أي التقويم العربي . ومقادير الزكاة هي المقادير العربية . والنبي الذين يؤمنون برسالته نبي عربي ، والله الذي حل محل آلهة المسيحية ، أو آلهة الفرس الوثنية ، في البلدان التي دخلت في الإسلام ولم تتعرب هو الله الذي كان يعبد في الأرض العربية من قبل ، وحدد صفاته القرآن الكريم . هو الله الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

وهكذا نجد العلاقة بين العروبة والإسلام قائمة على أحسن وجه في البلدان التي أسلمت ولم تتعرب .

على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد فإنما نظر المسلمون في هذه البلدان إلى الفكر الديني الناجم عن الاجتهاد على أنه يجب أن يكون فكراً مرتبطاً بالعروبة ، ومن هنا كانت مؤلفاتهم الدينية في اللغة العربية من أمثال

القرويني، والبخاري، وسيبويه، وأمثالهم.

ونستطيع أن نستخلص من هذه الظواهر جميعها حقيقة هامة وهي أن العلاقة بين العروبة باعتبارها ثقافة قومية والإسلام باعتباره ديانة سماوية نزل بها الوحي على النبي العربي محمد بن عبدالله عليه السلام، وبلسان عربي متين، هي علاقة قوية متينة ولا تنفك إلا عند العرب غير المسلمين. وأن الأصل في هذه العلاقة عند العرب المسلمين هي العروبة. إنها المجتمع العربي بكل مقوماته وروابطه، وأن الإسلام هو النظام الديني لهذا المجتمع. إن العروبة هي القاعدة والاساس وإن الإسلام هو بعض أجزاء البناء المقام على هذه القاعدة. فإلى جانبه كل الظواهر المادية والمعنوية للحضارة العربية.

وتبقى بعد ذلك كلمة تقولها كتب التاريخ في الأمور التي تتعلق بالدولة الإسلامية.

يحدثنا التاريخ على أن البلاد الإسلامية لم تكن دائما وأبدا دولة إسلامية واحدة، فقد وقع أن كان للمسلمين دولة عباسية بالشرق، وأخرى أموية ببلاد الأندلس، وثالثة فاطمية شيعية ببلاد المغرب ثم بمصر وسورية وبعض البلدان الأخرى.

ويحدثنا التاريخ أيضا على أن البلدان الإسلامية التي نعرفها اليوم في كل من آسيا وإفريقية وبعض بلاد أوروبا لم تكن في يوم من الأيام دولة واحدة، وخاضعة لنظام واحد هو نظام الخلافة الإسلامية.

يجب أن نكون على ذكر من هذا حين نتحدث عن المرحلة الثالثة التي ينادي فيها بعض الناس بالكيان السياسي الواحد، والدولة الإسلامية الواحدة.

إن تعدد الدول بتعدد القوميات هو المنطق العقلي الصادق والفكر السياسي السليم. وسوف تتبين لنا هذه الحقيقة من حديثنا عن المرحلة التالية، وهي المرحلة الثالثة والأخيرة.

في هذه المرحلة أخذت كلمة العروبة معنى سياسيا ومفهوما قوميا جديدا. أخذت معنى القوميات الأساسية للأمة العربية، تلك القوميات التي تجعل من حق هذه الأمة إقامة دولتها القومية. الدولة التي تحقق لهذه الأمة السيادة، والتي تكون الحدود السياسية فيها منطبقة على الحدود القومية للأمة. كان مقتضى هذا ألا تظل الأمة العربية مكونا من مكونات الدولة العثمانية، وإنما تنفصل عن هذا الكيان محقة ذاتها، ومقيمة دولتها القومية.

وحدث في نفس الوقت أن قامت اليونان ودول البلقان بنفس الصنيع استناداً إلى مبدأ القوميات الذي برز في القرن التاسع عشر، وقرر حق جميع الشعوب إقامة دولها القومية باعتبارها مصدر السلطة في كل دولة.

وليس ذلك فحسب، وإنما كان الأتراك أيضا يدعون إلى إقامة الدولة التي تحقق القومية الطورانية.

إنه من كل هذا انزعجت دار الخلافة العثمانية، وراحت تقاوم هذه الحقوق باسم الدين. ودعت إلى قومية مفتعلة تجمع بين المسلمين والعرب وغيرهم. وهي القومية العثمانية. فعلت ذلك تحت اسم الوحدة الإسلامية.

والى جانب هذه الأحداث التي تقاوم فيها العروبة باسم الإسلام كان هناك حدث آخر هو الدفاع عن الإسلام من الغزو الحضاري الأوروبي. الدفاع عن الإسلام باسم الإسلام، والذهاب إلى أن الحضارة الأوروبية ليست إلا الغزو الصليبي ضد الإسلام. ورفض هؤلاء المدافعون عن الإسلام الفكرة القومية على أنها جزء من الحضارة الأوروبية، وأنها ليست إلا الغزو الصليبي للإسلام، ويهدف إفساد الإسلام. ومرة أخرى نرى رفضنا للفكرة القومية السياسية باسم الإسلام.

وهنا يجب أن نسأل أنفسنا: هل من الحق الديني في شيء أن تقوم قائمة فئات من المسلمين ضد الحق القومي للأمة العربية باسم الإسلام؟ وهل الخلاف الذي يقوم بين دعاة الوحدة الإسلامية ودعاة الوحدة الحضارية خلاف ديني، أو هو خلاف سياسي؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة إنما تنطلق في عرفنا من منطلقين :
الأول منها : عالمية الإسلام باعتباره النظام الديني الذي يمثل الفطرة التي
فطر الله الناس عليها .

والثاني منها : تلك العلاقة العضوية التي لا يمكن أن تنفصم أبداً بين
العروبة والإسلام .

فن حيث المنطلق الأول نرى ما يلي :
أولاً : إن الإسلام باعتباره ديانة عالمية لم ينص في وحيه الإلهي أن
عالميته تستلزم أن يكون العالم كله وحدة سياسية واحدة .
والمنطق البشري نفسه لا يذهب أبداً إلى امكانية تحقيق هذه الوحدة
السياسية استناداً إلى تحقيق العالمية .

إن الإسلام لم يحقق من العالمية حتى الآن شيئاً يذكر، والمسيحية قد
حققت من العالمية أكثر مما حقق الإسلام — بل إن الوثنيات تحقق من
العالمية أكثر مما تحقق الأديان السماوية . ونظرة إلى كل من الصين واليابان
والهند والاتحاد السوفيتي تؤكد هذه الحقيقة .

العالمية الدينية لا تستلزم الوحدة السياسية — لامتطوفاً الهيا، ولا منطقاً
بشرياً .

ثانياً : إن الإسلام لا يمنع من أن تكون هناك وحدات سياسية متعددة
تمارس كل وحدة منها حياتها على أساس من النظام الديني الإسلامي .
والواقع العملي في عالمنا الإسلامي اليوم يؤكد هذه الحقيقة . فالدول
الإسلامية الموزعة على ظهر البسيطة في كل من آسيا وإفريقية لم تكن في
يوم من الأيام وحدة سياسية واحدة، وليس يمكن أن تكون كذلك ما دامت
تختلف لغات وثقافات، وتتباعد أمكنة ومصالح .

إن الوضع القائم هو المنطق الذي فرضه الواقع . دول عديدة، ونظام ديني
واحد .

وعلى هذا الأساس لا يكون هناك تعارض أبداً بين العروبة والإسلام حين

تقوم دولة عربية إلى جانب غيرها من الدول الإسلامية .

ثالثاً : ان الذين يفسدون العلاقة بين العروبة والإسلام يغفلون عن حقيقة بارزة جداً . وهي أن الوحدة الإسلامية لا يمكن أن تتحقق — إن قدر لها أن تتحقق — إلا على أساس من الوحدة العربية .

الوحدة العربية هي حجر الأساس في بناء الوحدة الإسلامية ، وإلا فكيف تتحقق وحدة بين كل الدول الواقعة جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا ، والدول الواقعة في وسط آسيا وشرقها ، مع دول المشرق والمغرب العربيين — قبل أن تتحقق وحدة الدول العربية ؟

الوحدة العربية هي حجر الأساس في بناء الوحدة الإسلامية .

رابعاً : وهي إشارة إلى ما سبق أن ذكرناه من أن التاريخ الإسلامي قد شاهد وحدات سياسية عديدة . فقد حدث أن كانت هناك خلافة عباسية في بغداد تواجه بخلافة أموية في بلاد الأندلس ، وبخلافة فاطمية في شمال إفريقيا ومصر وبعض بلاد المشرق العربي .

عالمية الإسلام تؤخذ بتعدد الدول في الوقت الذي يكون النظام الديني الإسلامي عالمياً .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

والأقرب إلى المعقول في هذا الموقف هو الاخوة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ، وليس الوحدة الإسلامية .

اما من حيث المنطلق الثاني ، وهو منطلق العلاقة العضوية بين العروبة والإسلام فإننا نرى :

أولاً : ان الإسلام لا يمكن أن يتفصل عن العروبة ، وأن ذلك حين يحدث إنما يفقد الإسلام هويته التي حددت خصائصه منذ قام وإلى الآن ..

فهل يتصور أحد مثلاً أن المسلم غير العربي يستطيع أن يؤدي صلاته بغير قراءة الفاتحة وقراءة القرآن بالعربية ، وغير متجه إلى القبلة بيت الله في مكة وهي أرض عربية .

وهل يتصور أحد مثلاً ان المسلم غير العربي يستطيع أن يؤدي فريضة الحج في أرض غير عربية . في غير مكة وعرفات ومنى . وبغير الطواف حول الكعبة ، والوقوف بعرفة ، والسعي بين الصفا والمروة ، وأن تكون التلبية ويكون الدعاء أثناء ذلك بغير العربية .

وهل يتصور أحد أن يرتبط الصيام في أي أرض غير عربية بشهر غير شهر رمضان العربي .

لا يمكن فصل الإسلام عن العروبة ، وإلا فقد الإسلام هويته .
لقد خلق الله الإسلام كائناً عربياً . وقدر له الخروج من جزيرة العرب إلى أرض الله الواسعة — لكن بشرط أن يظل حاملاً معه هويته العربية .

ثانياً: أن العروبة لا يمكن أن تقف موقف التناقض أو التعارض مع الإسلام، من حيث:

أولاً: أن العروبة تعني تماماً أن الإسلام من حيث هو ديانة سماوية عالمية قد قرر الحرية الشخصية فيما يتعلق بكل من المعتقدات والعبادات، حين جعل المسؤولية فيها مسؤولية فردية — وذلك أمر يعفي الدولة القومية من هذه المسؤوليات

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

إن أمر الإنسان المسلم — عربياً كان أو غير عربي، فيما يخص المعتقدات أو العبادات — موكل إلى ربه . فإن إلينا أياهم ثم إن علينا حسابهم . إن عليك إلا البلاغ . ولا تزر وازرة وزر أخرى .

ثانياً: ان العروبة بمعناها القومي تعني تماماً أن المصلحة العامة هي الأساس في وضع التشريعات التي تحدد العلاقة فيما بين الإنسان والإنسان، والإنسان والأشياء ، والله سبحانه وتعالى قد راعى مصلحة عباده حين وضع لهم التشريعات في تحديد هذه العلاقات . والإنسان نفسه يجب أن يراعي هذه المصلحة العامة حين يجتهد في وضع التشريعات التي لم يرد فيها نص .

ثالثاً: أن العروبة بمعناها القومي تعرف أن نظام الحكم الذي تدار به شؤون الحياة لم يرد في شأنه نص ، وأنه قد ترك للبشر، وإن الخلافة لم تقم

على أساس من النص الديني، وإنما على أساس من اجتهاد الصحابة عند وفاة الرسول عليه السلام.

رابعاً: إن العروبة تعني تماماً أن الدين لا يكون إلا من عند الله، وأن التنصوص الملزمة لها دينياً هي الواردة في القرآن الكريم باعتباره الوحي الذي جاء من عند الله، والذي بينه للناس رسول الله بهم. أما ما عدا ذلك من التشريعات فهو من الفكر البشري الناجم عن اجتهادات المفكرين المسلمين في مشكلات حياتهم الخاصة بهم. وأنه غير ملزم إلا بمقدار ما فيه من مصلحة عامة يرونها لا تزال قائمة، ولا يزالون هم في حاجة إلى مثل هذا التشريع.

خامساً: أن العروبة تعني تماماً أن من حقها الاجتهاد في وضع الأحكام التشريعية التي تقدم الحلول لمشكلات الحياة في عصرها على أساس من توخي المصلحة العامة — ما دام لم يكن هناك نص واضح وقطعي الدلالة ووارد موارد التكليف في هذه المسألة أو في تلك.

لا ضرر على الإسلام من القومية العربية ما دامت القومية العربية واعية كل الوعي بالعلاقة العضوية فيما بينها وبين الإسلام.

<http://ArchiveBey.Sakhrit.com>

واختتم هذه المحاضرة بالتأكيد على القول بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإسلام كائناً عربياً، وأذن له أن يكون للعالم أجمع — ولكن بشرط أن تظل له هويته العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله.

دكتور

محمد أحمد خلف الله





في الليل الصقيع د. محمد المنحرجي

لكنّ هناك أمور اصقع من كل شيء
تجبرنا على الخروج إلى الشوارع، حتى
بعد منتصف مثل هذا الليل .

كنت في الشوارع أضيق متسللا
وقد دسست رأسي في طاقة لا تبين
منها إلا العيون وحشوت عودي في كل
ما امتلك من دثار، وبرغم هذا فان

في هذا العام جاء إلى بلدتنا
الحارة الطبع شتاء لم نر صقيعاً مثله،
وبشكل شخصي كان عندي اصقع ما
يكون حتى اتني أود ألا أرى ابداً
مثله .

كان صقيعاً، وكان الليل اصقع،
وكان الليل في الشوارع اصقع اصقع،

البرد كان ينفذ ليطن لحمي وعظامي
بمدى من صقيع، فأنتقلص واتحرك
ملفوفاً أجوب الشوارع الخالية .

كان الاسفلت يلعب بالبلل ويبدو
كصفحة من الرصاص تحت ضوء
مصابيح الزئبق، وكانت البيوت تلتف
بغيش رصاصي صنعه الصقيع من بخار
الأنفاس التي تتسلل خارجة من فرج
البيوت لتتشلج . واسرعت في هذا
الليل الرصاصي كله لعل الاسراع
يجلب إلى بدني دفئاً ما، لكنني وسط
شارع الاستاد الموحش ابطأت الخطوا
رأيت كائنات صغيرة يتحرك وقد التف
بهالة رصاصية من الغيش .. كانت
قطعة، وعادة ما تهرب مثل هذه
الكائنات الضالة عندما يقترب منها
الإنسان، لكن القطعة لم تهرب عندما
اقتربت منها في هذا الليل الصقيع،
بل اني هشتها وظلت قريبة مني ترنو
إلي بلا حراك . بل أكثر: انني
حاولت ركلها فافتلت الركلة بقفزة
وعادت إلى مكانها قريبة مني ترنو
إلي بلا حراك . تحركت فتحركت
القطعة في أثري .. امشي، تمشي ..
أتوقف، تتوقف .. وكان رذاذ من
بقايا المطر يهمني من السماء ابيض

كالشليح يلدغ .. يلدغني، و يلدغها،
فاذا توقفت تتوقف وتهر وتموء ..
كأنني بها تحشني: « امش يا انسان
لامشي وراك »، وكأنني بها ترجو:
« رج بيتك وتحشني » وضحكت ..
ضحكت ضحكاً مكتوماً بالبكاء اذ لم
يكن لي بيت في هذا الليل الصقيع
.. لم يكن لي إلا التجوال في الشوارع
وأنا مفلت من مراقبة تندر باعتقال
وشيك .

سرت، سارت القطعة خلفي، ثم
جاء إليّ معها كلب ليفعل نفس
الشيء والغريب انها لم يتشاجرا
كمادتها بل ظلا على وفاق يتبعاني .

وبعد ثلاثة شوارع من التجوال
أصبح يتبعني ثلاثة كلاب وقطتان،
وأخذت أمر بموكبي هذا الغريب في
شوارع هذا الليل الصقيع .. تزور عنها
البيوت، ونتعزى بشير آخرين بلا
بيوت تكوروا في خرق في الأرصفة
ولصق الجدران وعلى عتبات أبواب
المساجد المغلقة .

وكننت مبترداً أتعجل بحجي الصبح
الذي أوحشني، لعلني اتدفأ، وأذوب
في زحمة الناس .



كتاب

في مجموعتها

8

وعود للبيع

000

ديزي الأمير

توجه الدعوة المأثري
الأدب أن نفس له ضد الوعود

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



عرض
ليلى عثمان

عام ١٩٦٢ حملت الصبية - ديزي الأمير - قصتها الأولى «السجادة الصغيرة» إلى الدكتور سهيل إدريس صاحب دار الآداب، وهو الأديب والكاتب المعروف على مستوى الوطن العربي، وهو أيضاً الأب الذي على

يديه تخرّجت أجيال الأدباء والشعراء المعروفين في الوطن العربي .

حملت ديزي قصتها .. وكانت قبلها كثيرات قد حملن نتاجهن فعرف طريقه إلى مجلة الآداب ، ومن ثم إلى يد القارئ من خلال كتاب مطبوع ..

ولم تكن وجهة ديزي الأمير إلى د. سهيل إدريس إلا بسبب ذلك الحلم الذي راودها أن ترى قصتها النور على يد الأديب الذي نشر قبل ذلك للكثيرات والكثيرين ..

حين قرأ الدكتور سهيل القصة .. قال :

— هذه موهبة جديدة تضاف إلى المواهب السابقة ..

وبقدر ما هو معروف عنه من تشجيع للمواهب فقد قام بنشر القصة في مجلة الآداب ..

عرفت القصة طريقها إلى قلوب القراء ، وكانت بمثابة الخطوة الأولى التي شقت بها ديزي الأمير طريقها بين صفوف الكاتبات والكتاب العرب ، وتوسّم فيها صاحب دار الآداب كل الخير ، فشجعها .. وتابع إنتاجها فكان أن أصدرت مجموعتها الأولى عام ١٩٦٤ تحت عنوان (البلد البعيد الذي تحب) فكانت بهذه المجموعة أول رصيد جماهيري لها .

عام ١٩٦٩ أصدرت مجموعتها الثانية (ثم تعود الموجة) وقد حالفها الحظ الكبير من النجاح كما حالف سابقتها .

وعام ١٩٧٥ جاءت مجموعتها الثالثة (البيت العربي السعيد) لتعبر عن كل نفس تبحث عن الاستقرار والسعادة ونسمات الحرية ، وكأنها بتلك المجموعة قد عبرت عن معاناة الإنسان اليومية بكل حذافيرها حتى تهافتت جماهير الأدب على المجموعة فنفدت من الأسواق بسرعة .

وعام ١٩٧٩ وفي اثناء الحرب اللبنانية .. ورغم الظروف السيئة المحيطة ، ورغم الإحباطات التي تصيب الإنسان في ظروف الحرب ،

أصدرت ديزي مجموعتها الرابعة (في دوامة الحب .. والكراهية) .

وتقول ديزي الأمير عن مجموعتها هذه، في لقاء صحفي:

— كتبت هذه المجموعة .. عن الفئة التي لم تقا تل .. ولم يكن لها دور في ذلك الضجيج اللاهب .. في تلك الفترة الصعبة لم يكن في الحياة أو الموت براعة وشطارة .. فكيف إذن يتحمل إنسان ما .. ليس طرفاً فيها أصعب الظروف التي يمكن أن يواجهها بشر؟؟ وكانت مجموعتي (في دوامة الحب والكراهية) تمثيلاً حقيقياً لهذه الحالات المضروبة بلا ذنب اقترفته ..

ديزي الأمير عاشت الحرب بكل قسوتها .. لم تغادر .. ولم تفكر بالرحيل كما فعل الكثيرون، وكان الوطن بالنسبة لها هو كل شيء رغم اقتتال بنيه . ومعروف أن ديزي عاشت في لبنان أكثر من عشرين عاماً .. فصار لبنان هو الوطن .. فكانت حرب لبنان تجربة مهمة بالنسبة لها .. وقد أفرزت تلك المجموعة التي حظيت بما حظيت به المجموعات السابقة من نجاح ... وانتشار .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

● البحث عن البساطة

أواخر عام ١٩٨٢ صدرت مجموعة جديدة للكاتبة ديزي الأمير تحمل عنوان — وعود للبيع — .

وقد يوحي الاسم بشيء .. فهذا زمن الوعود التي تضرب، ولكنها تبقى وعود كلام .. بيع لا فائدة منه، وقد تكون الخسارة في الوعد أكبر ..

جاءت مجموعة ديزي الأمير .. لتحمل لنا نَفْسها الإنسانية الذي يلمسه قارئها دائماً .. ورغم شراسة الحرب اللبنانية التي لا تزال، والتي لا تزال ديزي تعيشها .. إلا أن أبطال ديزي لا يزالون يحتفظون بإنسانيتهم .. رغم الاشتعال المحيط .. ورغم الفروقات التي أفرزتها الحرب، ورغم الأحقاد الطافحة على الساحة، إلا أن الشخص تحتفظ بإنسانيتها .. والإنسان كذلك .. يرتبط بأرضه ويظل انتماءه قائماً رغم الأثر يز والنار ..

في مجموعتها هذه تحتفظ ديزي الأمير بنفس أسلوبها السهل ..
الواضح ، وتظل المحادثة المباشرة باقية .. لكنها محادثة تقول لك : إن هذا
العالم رغم صراعاته .. لم يستطع أن يقتل الإنسان ، وديزي لا تنكر
أسلوبها ، وهي تصر عليه ..

تقول في لقاء صحفي آخر :

— أنا أفضل الأسلوب الواضح والمفهوم ..

وتفسر ذلك بقولها :

— لقد قرأت كثيراً من المجموعات القصصية والشعرية التي لم أفهم منها
شيئاً .. وذلك بسبب كثرة الرموز والتعقيد الذي طغى على أسلوب أصحابه
.. إنني في الأسلوب البسيط أستطيع أن أعبر عن أعماق المشاعر ..
وأكثرها ضياعاً .

وبالفعل .. فقد استطاعت ديزي بأسلوبها هذا أن تقول للقارئ كل ما
تريد قوله .. دون صراخ ، أو انفعال ، أو تزويق قد يشوه الصورة فتضيع .

ما يميز ديزي أيضاً .. أنها تنطلق من التفاصيل الصغيرة .. التي تتجمع
.. فتصبح بركاناً .. هي لا تحصر نفسها في دائرة الخصوصية ، لكنها تنطلق
.. من الخاص إلى العام .. فتمس بذلك وجدان قرائها الذين استطاعت
حتى مجموعتها هذه أن تحظى باهتمامهم ، ومتابعتهم ..

لقد استطاعت ديزي الأمير منذ مجموعتها الأولى أن تسجل صوتها
ككاتبة عربية .. متميزة .

● وعود للبيع :

تحتوي المجموعة على عشر قصص .. كل واحدة تحكي حدثاً معيناً ..
يرتبط بالتالي بالأحداث الأخرى دون مباشرة .. هي تقدم شرائح من البشر
.. تعري وتكشف .

في القصة الأولى .. (المستقبل — الحاضر — الماضي) . ثلاثة أزمنة

متداخلة .. تتصارع داخل البطة .. هي في حاضر، يأتيها الماضي ..
وتفكر بالمستقبل .. وهو يقربها سعيد، منتش، ورذاذ مطر الربيع، وموسيقى
تنطلق ومن الراديو، ولكنها :

«لا تحس بشيء .. لا سعادة .. ولا شقاء .. ولا حتى رغبة في معرفة
أعماقها .. تتمنى لو تبقى هكذا تتأمل .. دون إيجاد صدى لما
ترى ..» ص ٨ .

حتى عيناه ! غير قادرتين على أن تضحكا عينيها الحزبتين حتى وهو
يقرر أن أجمل ما في البحر أنه لا ينتهي .. كحبهما
تقرر هي :

« كان البحر يمتد إلى الأفق .. ثم ينتهي هناك . » ص ٩ .
الأزمنة متضاربة .. وحين تحاول الهروب إلى صوت المذياع فتحركه
.. تأتيها أصوات أزيز تلاحقها، إنه زمن الحرب الذي لم يترك للربيع
مكانا ..

إن أجمل ما في هذه القصة .. رغم بأسها .. أنها لا تسد الأبواب في
وجه الأمل الآتي
<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

« كانت تدري أن هذه هي فترة الغروب .. وسيعقبها الليل بوحشته ..
وغداً .. غداً تطلع الشمس .. غداً .. صباح جديد .. غدا .. يوم
جديد . » ص ١٤ .

وفي «مرايا العيون» هي إنسانة وحيدة .. في فندق يرفض أن يأتيها
بعشائها إلى غرفتها .. فتضطر للنزول إلى مطعم الفندق .. هي المرأة
الوحيدة جاءت لحضور مؤتمر ما .. «تطلعت إلى كل الموائد .. لم يكن
عبر واحدة منها امرأة . هل خلقت الفنادق للرجال ؟ » ص ١٧

العيون تحديق بها .. بحر من العيون ... والمرايا تغلف كل جدران
المطعم فيزداد عدد الرجال .. وعدد العيون المستغرقة وجود الطائر
الغريب !

امراً وحيدة بين الرجال .. والعيون تلتهمها .. لكنها جائعة : لا تستطيع مغادرة المطعم، والجوع ليس عيباً، وهي تجلس محتشمة : لكن العيون دبائيس تغرز شوكة، وهي تغرز عينيها بالسجادة تسحب ألوانها .. ونقوشها .. وخيوطها .. « ومن يأتيني بطاقة الإخفاء ؟ الآن عرفت لماذا اخترعت هذه الأسطورة .. وهل كان من اخترعها في حالة تشبه حالي .. أم تراهم كانوا مذبذبين ؟ » ص ١٩

هي ليست مذبذبة، الجوع يقرص معدتها، وقطيع العيون يقرصها .. والنادل يتأخر ولا يأتي بالعشاء : تحمل نفسها .. وتهرب إلى غرفتها .. وتمني النفس « غدا تطلع الشمس .. وسأتناول فطوري مبكرة قبل أن يغص المطعم بالعيون المرتابة . » ص ٢٠

وفي قصتها « عملية التجميل » تحكي قصة زوجة ذلك المسؤول التي ترفض أن تقابل الزوار .. فهي : « زوجة المسؤول الأكبر .. وصحتها ثمينة ورؤيتها شرف لا يحظى به إلا زوجة مسؤول آخر أكبر » ص ٢٣
لكن الأمر أصبح معروفاً .. وزوجة المسؤول لا تشكو من المرض، بل انها أجرت عملية تجميل الوجه الذي ملأته التجاعيد .. ولأنها تملك الشروة والوقت .. فهي بلاشك قادرة على لف دولاب الزمن بشكل معاكس لتعود بعد أيام شابة .

ديزي في قصتها هذه .. تؤكد أن الزمن المنصرم لا يمكن أن يعود .. وأن الوجه الذي نحمله سنوات عمرنا .. لا يتغير حتى وإن عمل فيه مبيض الجراح الماهر .. ومهما أخفينا الوجوه تحت أقنعة التجميل .. فإن الوجه الحقيقي يبقى .. ويعلن عن أعماق صاحبه .

● ألوان من النساء :

وفي قصتها (القطة — الخادمة — والزوجة) تقدم ديزي نموذجاً للمرأة الفارغة، المنقادة لحياة تافهة تخضع للفراغ، والملل ..

ورغم حصولها على شهادة في علم النفس ، إلا أنها لا تعرف كيف توجه ابنائها .. فهي تضيق بهم .. وتبعدهم عنها إلى بيت عمتهم .. أو أي مكان آخر لترتاح منهم !

امرأة قلقة .. تضيق بالبيت ، وبالأولاد ، وبالزوج الذي تكرهه وتحتقره لأنه يهابها وهي ابنة وزير ، وهي لا تحترم والدها كذلك .. فهي تعلم انه لص ! وتكره كل رجال الأسرة .. فكلهم يتعاطى الرذائل ! حين تستقبل زائرتها .. ينطلق لسانها يشكو من كل شيء ، حتى إذا دخلت الخادمة تحمل فنجان القهوة : صمتت .

تدخن ! تدخن بشراهة ؛ « أنا ادخن كثيرا .. إنه تنفيس لي .. ولكن في غياب زوجي ؛ فهو لا يحب المرأة التي تدخن .. » ص ٣٢
لذلك هي تحسد زائرتها التي رأتها مرة في مكان عام تشعل سيجارتها ولا تخشى عيون الناس . تتكلم .. لا تترك فرصة للزائرة أن ترد : وحين سألتها : في أي الرحلتين استمتعت أكثر ؟
— في زيارتي للوطن !

« وطن ! تحسن لك وطناً ! تعرفين لك وطناً .. أنا ؛ أين وطني لأذهب إليه .. هنيئاً لك .. تلفظين كلمة وطن بفرح .. وما هو الفرح ؟ كيف يحس الإنسان بالفرح ، وهو يتحدث عن الوطن ! أنا أحس بعمة هائلة حولي .. كلنا نستغل بعضنا البعض .. أسرنا مجموعة أعداء تعبت من الكراهية .. » ص ٣٢

هذا التمزق الذي يعيشه الفرد ؛ يعكس ما يعيشه الوطن ، من تمزق ! والمرأة هنا .. تحس بالقيد ، والكراهية تحاصرها ؛ لكنها تخضع لكل هذا ، للبيت ، للأب اللص ، للزوج الذي تكرهه ، للخادمة التي لو كان زوجها لا يخشى والدها الوزير لخافها معها .. والموت : الذي تفكر فيه ولا تقدم عليه ... « حتى الموت يمنعني الآخرون من الاستمتاع به » ص ٣٣ . وحتى الوطن الذي هي فيه تفتقده ولا تحس به .. ويدخل الزوج .. يصافح

الضيقة باعتزاز وحرارة .. لأنها امرأة عاقلة مكافحة .. فهي امرأة مثالية في نظره .. وتقاطعه الصديقة :

« — أترك تعترض بهذا النوع من النساء ؟ هل تريد لزوجتك أن تكون مثلي ؟؟ »

يرفض الزوج ذلك .. مبررا رفضه بأن زوجته محمية فوالدها وزير وزوجها يعمل مديرا عاما .. واسرتها عريقة وهي بالتالي ليست بحاجة للعمل والنضال !

وحين طلب الزوج فنجان قهوة من الخادمة .. تقفز المرأة التي تكره زوجها وتحترقه .. لتصنع له القهوة لأنه يحبها من يدها !

وتخرج الضيفة .. لا تفكر حتى بأن تودع صاحبة البيت التي تعيش الذل بكل أشكاله .. ذل الانتساب إلى العائلة العريقة ، ذل الزوج ، وذل القلق والملل .. ذلك الذل الذي ترفضه ديزي الأميرة للمرأة ، وتعلن عنه ، ولا ترضى للمرأة أن تسحق انسحاقا عاطفيا يلغى شخصيتها أمام الرجل . المرأة « العبد » أو شخصية شهرزاد ملغية مرفوضة عند ديزي الأمير .. فللمرأة كرامتها .. وشخصيتها .. وفي نهاية قصتها تقدم صورة أيضا للمرأة التي تحافظ على تلك الكرامة حتى وإن كانت من طبقة مسحوقة بفعل الحاجة في مجتمع يلتهم فيه الكبير الصغير .. حين تترك بيت الصديقة الخاضعة .. تدخل بيتها فإذا الخادمة تحمل صرة ملابسها وتعلن :

« — يا ستي أنا ذاهبة .. »

— تذهبين ! من دون سبب ! ماذا جرى ؟

قالت الخادمة :

— كرامتي أهم من كل شيء . « ص ٣٤ »

وكان الزوج قد صرخ في وجهها واتهمها بالسرقة . وتخرج الخادمة .. وتنزل هي في أثرها تبحث عنها .. لكنها لا تجد سوى قطعة هزيلة جائئة تعبر الطريق .

• الإنسانية والواقع:

الإنسانية في قصص ديزي موجودة، تفرض نفسها رغم بشاعة الواقع، وحين نتحدث ديزي عن طبقة معينة لعلقة لها بالطبقة المتخمة التي لا هم لها إلا جمع الثروة .. والتباهي بها حتى وإن كانت ثروة غير مشروعة .. مسروقة .. أو مفتصلة .

حين تغوص ديزي في أعماق الطبقة البائسة تؤكد أن الوطن يحتل مساحة كبيرة .. يحس بها الفقراء قبل الأغنياء، يحس الجائعون الضائعون المبعثرون على الطرقات .. وهم أكثر التصاقا بالوطن، وحباً به، وعملا من أجل العيش في داخله رغم النار التي تلتهب فيه .. لاهرب .. ولاخوف .. والموت في أرض الواقع شيء عظيم .. مادام في قلب الوطن ..

وشخصية الخادمة التي تستغني عن لقمة العيش في زمن تشع فيه اللقمة .. من أجل الحفاظ على كرامتها .. تقابلها شخصية خادمة صغيرة أخرى يدفعها أهل لمن يدفع الثمن .. إلى بيوت الكبار، لتعمل خادمة .. وتحلم، تحلم حين ترى النساء في تلك البيوت .

ديزي قدمت صورة حية، ناطقة لأحلام الخادمة الصغيرة .. أحلام طفلة تريد أن تُرضي سيدتها بكل الأشكال .. فقط .. من أجل أن تبقى مدة طويلة حتى لا تتشرد بين البيوت المنتظرة أشكالها لتمارس عليها صنوف التعذيب والقهر!

هي تحلم بصالون الحلاقة .. أن تصفف شعرها كما تفعل سيدتها .. وتحلم أن ينام الطفلان ولايستيقظا ويوقظاها قبل أن يطلع الصباح حيث العمل من جديد . حلمها الصغير يكبر .. فتجمع من أجله المال القليل .. فقد يصبح بمقدورها أن تدخل ذات يوم إلى محل الكوافيرة، وتصفف شعرها .. لاتعدى أحلامها هذا الحلم الصغير . حتى الزواج .. لاتفكر فيه .. فهو ليس حلمها .. ليس لها الحق في التفكير بذلك . «ذلك عالم ليس عالمها .. وأحداث لاحق لها في التفكير بها .. هذا سلم درجاته ليس لقدميها

لكنها حين جمعت المال .. وقررت أن تدخل المحل .. بقيت تشاهد من خلف الزجاج ما يحدث في الداخل !! .. وتكتشف أن كل النساء في الداخل يصفن شعورهن من أجل رجل ، أو مناسبة أو حفلة .. شعورهن لا تخصهن . «وهي شعرها ملكها .. لكنها لا تستطيع تصفيفه لأنها لا تملك الشمن ! ولا الحفلة ! ولا الوقت» ص ٤٦ . في لحظة تتذكر البيت الذي تخدم فيه .. هو مكانها .. هو وطنها الذي تخشى أن تطردها منه السيدة فتشرد بين البيوت ..

أسرعت ، وهي تمسك بشعرها المتناثر تحميه من مقص يحزه .

● متابعة الأحداث :

للكاتبة ديزي الأمير قدرة على متابعة الحدث ، وتحريكه واستغلاله ليعطي دلالات متعددة .. في «السن المنخورة» .. يبدأ الحدث منذ الشعور بالألم في الضرس حتى القرار بمراجعة طبيب .. ثم التأجيل بسبب المشاغل ، ثم الحاح الألم ، ومن ثم القرار للذهاب إلى طبيب قديم تذكرت أنه حشا لها الضرس منذ عشرين سنة .. نوع من الوفاء تجسده المريضة التي لم ترد بديلا عن الطبيب الذي لم يعرف الوفاء .. وتخلي عن صديقتها التي ساهمت في أن يكون ذات يوم طبيبا ناجحاً يقصده الناس ، وتكتظ عيادته بهم . هولا يذكرها . إلا بعد أن حشا السن المنخورة .. فيسأل عن الصديقة القديمة ليزكرها بالماضي القديم .. لتجلب له مرضى كما كانت تفعل الصديقة في قديم الزمان .. هذا كل ما يتذكر .. نسي حب الصديقة .. نسي انتظارها .. نسي ضياع عمرها .. وكل ذنبها أنها كانت تكبره بسنوات . «ص ٥٧

وتطلق المريضة سلسلة من الكذب .. تفخم بها الصديقة التي وقف عمرها عند محطات الانتظار الطويلة .. «حينما اغلقت الباب وراءها كانت تتساءل : ما زعمته عن صديقتها .. هل كان انتقاما لها .. أو منه

.. أم لكل النساء؟؟ فليكن .. من الرجال كلهم .. «ص ٥٨

وعود للبيع .. القصة التي تحمل المجموعة عنوانها .. كان من الممكن أن تكون أقوى قصص المجموعة .. لولا أنها ضاعت في الشكل الذي اختارته الكاتبة .. القصة منذ بدايتها حتى النهاية عبارة عن حوار سريع متبادل بين رجل وامرأة .. هو يصبر على أن تثق بوعوده وتصدقها .. وهي كعادة المرأة دائما في قصص ديزي الأمير .. ترفض تصديق الرجل .

«— أعدك ..

— لا .. لا تذكر كلمة وعد ..

— اسمعيني ..

— لا أريد أن اسمعك تعذني بأي شيء ..

— أتدريين ما سأعدك به ؟

— أمنت على حياتي ضد كلمة وعد! «ص ٦١

هكذا .. يصبح الوعد .. بل الوعد خطرا يهدد حياة المرأة، الإنسان، بل ربما الشعوب بأكملها فتؤمن نفسها ضد هذا الخطر الذي يلتهم الأيام والسنوات .. فالوعود دائما تبقى كإختام الشمع الأحمر .. تقتل الأحلام، ولا تحقق شيئا . وتبقى خيبات الأمل .

«— إنسي خيبات الأمل الماضية .. وتذكري ..

— لست كمبيوتر تأمرني بالنسيان حينما تشاء .. وبالتذكر حينما ...

— مسكينة أنت .. هل تظنين كل الناس كاذبين ؟

— أنا لا أنهم الآخريين بالكذب .. لكنهم ينسون. «ص ٦٢

وذاكرة الإنسان تبقى حية قوية .. الوعود، والعهد، تبدل الحروف .. أو تبقى .. فكلم من وعد ظفر به العدو! وكلم من وعده لحستها ألسنة الأنظمة التي نطقته فلم تحقق لشعوبها شيئا ..

«— إذن .. لا تكتبي .. قولي ما تريدين !

— ستدرو ..

— لا .. لن تذكرو الرياح أقوالك ..

— أنا لا أتهم الرياح .. فهي أرحم .

— مني ؟؟

— من الذين يوقظون الأماني .. ثم يدفنونها «ص ٦٥

«وعود للبيع» قصة تطالب الإنسان العربي أن يؤمن نفسه ضد الوعود الكاذبة .. تلك المهنة التي يتاجر بها كل من يجيد الرقص على الحبال .. وكان من الممكن لهذه القصة أن تقول أكثر .. وأن يتنامى فيها حدث يلمس الواقع العربي .. لكنه ضاع في شكل الحوارات السريعة .

ديزي الأمير في حياتها .. ترفض تبعية الرجل .. ترفض الرضوخ لوضع تكون فيه المرأة فاقدة لإرادتها .. تقول في لقاء صحفي عن حياتها الخاصة :

«تزوجت لفترة قصيرة .. ثم ألغيت تلك الفترة .. وأنا سعيدة بوحديتي .. وفخورة لأنني استطعت أن أكون قوية .. بدون الاستعانة برجل» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

ثم تقول :
«لقد كونت نفسي بنفسني .. دون الاستعانة بأحد وحققت بعض طموحاتي» .

● رفض التبعية :

هذا الواقع الذي تعيشه ديزي الأمير ينعكس في القصة التي تحدثنا عنها «القطعة الخادمة والزوجة» نرى المرأة رغم خضوعها لرجل تكرهه ، وتحسرتها ، إلا أنها في الداخل تكره ذلها . وذاك الخضوع .. فتفكر في الخلاص منه حتى وإن كان هذا الخلاص هو الموت .

وفي «المحبس» صورة أخرى .. للمرأة الشرقية التي تحلم «بمحبس الخطوبة» يطوق أصبعها ، تحلم بالرجل .. ترسم له في ذهنها صورة الفارس الأشقر الذي تكون أصابع يديه رفيعة وطويلة .. وحين يأتي الحلم .. لا يأتي

أشقر ولا ذو أصابع رفيعة .. بل يأتي أنيقاً فترى في أنافته قوة شخصيته .
وكان يملك كل شيء .. حتى السيارة الفارهة والسائق المؤدب .. وبدأ
أنانيته وجبه لذاته من اللحظة الأولى .. حين طلب منها أن تلتقط له صورة
وهو خلف مقود السيارة التي صرف سائقها المؤدب .. وأكد أنه يريد صورة
لا ينقصها أي جزء من السيارة .

اهتزت آلة التصوير بيدها .. فطلب إعادة الصورة مرة، ومرتين، حتى
قال أخيراً :

« لا أظنك ستجدين التقاط الصور » ص ٧١

اختار مطعمها .. جلست .. « ما أن بدأت بقراءة أنواع الصحون حتى
كان النادل بجوارها يسجل الطلبات التي أملاها هو. » ص ٧١

جاءت الصحون .. لم تعرف أي صحن يخضعها .. « تطلعت إليه
بتساؤل .. فقرب لها واحداً لذيد الطعم والشكل .. خالصها من مشكلة
الاختيار. » ص ٧١

طلبت القهوة .. جاءت مرة .. لأنه هو يريد ذلك . وبعد تحميص
الفيلم جاءها بالصورة :

« ست وثلاثون صورة له وحده ، في غرفته ، على الشرفة ، مستلقياً على
أريكة .. مبتسماً .. عابساً .. يدخن .. يكتب رسالة لا تدري لمن ..
أوضاع مختلفة ومتعددة .. » ص ٧١

وبعدها .. طلب منها أن تختار صوراً تزين بها طاولة زينتها لتظل تراه
كلما رأت نفسها في المرأة !

ارتدت ذات يوم فستاناً أحمر .. فقال ان اللون لا يعجبه .. خجلت من
تدني ذوقها .. وحرمت لipse .. حتى عطرها لم يستغ أنفه رائحته .. وكان
عليها أن تجرب كل أنواع العطور ليختار هو بعد ذلك العطر الذي يناسب
حساسية أنفه ...

.. ولم يجد ما يطفئ به نار هذا الحنين سوى شريط يسمع من خلاله اغنيات البلاد فيردد معها اللحن .. والكلمة .. وتمضي الأيام وهو يرسم لحظة اللقاء .. ويقترب موعد العودة .. فيبدأ يتذكر كل الوجوه .. أمه .. اخوته .. أقاربه .. أصدقاء .. وحتى الجيران .. يتمنى لو أنهم كلهم .. يكونون بانتظاره في المطار ويأتيه من بين الوجوه .. وجه خالته أم سمير .. «صحيح ، انه كان ينادي كل سيدات القرية بلقب خالتي .. ولكن لأم سمير مكانة مميزة عنده .. فهي الأقرب إلى أمه .. وطالما سمعها تتحدثان همساً .. وتشاكيان وتضحكان .. كانت خالته أم سمير بقرب أمه في كل الحالات .» ص ٧٨ .

و يتذكر وجه نادية التي لم يرض بالزواج منها قبل سفره ويندم .. فلعل وجودها معه كان سيخفف عنه بعض الوحشة .. والوحدة التي قاسى منها في مجتمع يصعب إقامة علاقات حقيقية فيه .. هوذا يستعد للرحيل ، حقائبه موزعة في الغرفة ، وكثير من الطلبة العرب يأتون لوداعه .. ورفقة الفرع تعابث قلبه حتى ليكاد يطير إلى : «الوطن .. الوطن للسكن .. الوطن حيث البيت والعائلة والأصدقاء .. والقرية الحبيبة» ص ٨٠

وتصور ديزي لحظة اللقاء الرائعة بكل تفاصيلها .. لا تنسى حتى اللفتات الصغيرة ، فتكون الصورة معبرة عن ذلك الفرع الصادق الذي يحس به العائد ، والمستقبلون له .. وهو يقبل ، ويصافح .. و.. يغيب عنه وجه واحد! .. أين خالته أم سمير .. وحين يلتقي بوجهها .. يرى امرأة كهلة شاخ فيها كل شيء .. الوجه .. والشعر .. واليدان .

المرأة التي أحبها .. لأنها رفيقة أمه .. وحدها لاحظ أن الزمن قد ركض إليها لاهثاً .. من بين كل الوجوه .. يصدمه وجه خالته أم سمير .. التي نسي أن يصافحها ولم يتذكر هذا الأمر إلا حين ذهب إلى المغسلة .. وبدأ يغسل يديه بالصابون .

• دور أساسي :

آخر قصص المجموعة قصة (الصفوف الأمامية والصفوف الخلفية) .
التركيز على المرأة ، ودورها الذي يجب أن يكون دوراً أساسياً في
مجتمعها ، والاعتماد على النفس ، ورفض التبعية ، وذل الرجل .. هاجس
يشغل ذهن الكاتبة ، فتصوره بحرارة ، وتطرقة بجرأة ، معلنة أنها ترفض للمرأة
أن تكون ظلاً لرجل !

وأنا أقرأ هذه القصة .. تنتصب أمامي صورة الكاتبة المعروفة والباحثة
الدكتورة نوال السعداوي .. تصور القصة جزءاً من نجاح الدكتورة .. فهي
الطبيبة التي تعالج .. والتي تحفظ أسرار مرضاها في سجلات .. وتعاني ..
حين تجد المرأة غير قادرة على إعلان شكواها . وبعضهن يرفعن الشكوى
من عدم الانجاب ، وبعد العلاج يتضح أن الزوج هو المسؤول لكن المرأة لا
تجرؤ أن تصارح الزوج .. وتطلب من الطبيبة ألا تملن هذا للرجل .. وإلا
ستكون العاقبة وخيمة .. والطبيبة .. مضطرة لحفظ الحالات ضمن ملفات !
لكنها تتساءل بينها وبين نفسها : « ولكن المريضات الموعودات بالشفاء ؛
المنتظرات .. هل صارت مهنتها بيع الوعده ؟ » ص ٨٦

تتراكم الملفات .. والبحوث .. فتجمعها الطبيبة في كتاب ينال شهرة
.. واهتماماً من النقاد .

تتحول شيئاً فشيئاً من طبيبة أجساد إلى طبيبة نفوس .. تصدر رواية
تسجل فيها حالة مريضة ، فتتال الرواية نجاحاً باهراً ..

وتستقل الطبيبة بحياتها .. «تقلع أشواك الحياة بأهدابها ، وتحفر الأرض
بأظافرها .. تزرع جذوراً» ص ٨٧ . تبدأ غير الرجال . والطبيبة في معرض
الكتاب تتصدر جناحاً لها .. لكتبها .. ويكون السؤال : « امرأة في مثل
وضعها .. خرجت من حائط أو هبطت من سقف تصيح لها هذه المكانة
ولا يكون وراءها رجل ؟ » ص ٨٨ .

تقف الطيبة في الصف الأول .. وهناك .. في الصف الخلفي أيام المدرسة .. كانت لها زميلة .. هي اليوم تأتي إلى المعرض لأنها زوجة المسؤول الكبير الذي لم يتكرم حتى بالنظر إلى الكتب .. بل كانت تفوده المرأة التي كانت ذات يوم في الصف الخلفي .. هي اليوم براقه .. تلمع جواهرها أمام كاميرا التلفزيون الذي عرض صورة للافتتاح فلم يظهر فيها إلا المسؤول وزوجته .. في المعرض الثاني اختلف الحال .. نفس المسؤول .. لكنه كان وحيداً .. ومهما بالكتب .. وصافح الطيبة المثقفة واثني على نجاحها .

وفي إحدى الندوات التي تشارك فيها الطيبة الكاتبة تجد أمامها كرسياً أنيقاً شاغراً .. وتعرف أنه ترك خصيصاً لزوجة المسؤول .. الذي طلق زوجته الأولى وتزوج من سكرتيرته التي تصفّره بسنوات . وتأتي زوجة المسؤول الجديدة فإذا هي مرصعة بالجواهر .. ترتدي آخر صيحات الأزياء .. و«سرحت الأدبية الطيبة .. فرأت معرض الكتاب الأول والتالي .. وتوالى المتحدثون» .

وحين جاء دورها .. «سمعت نفسها تقول : «بعد كل ما قيل لن أضيف جديداً غير أن تعمل المرأة على ألا تكون ظلاً لرجل .. بل تعمل على أن تكون ..» ص ٩٢ . ضجعت القاعة بالتصفيق .. وكانت العروس تصفق بشدة !

إن النجاح الذي تحقّقه المرأة العاملة في حياتها نجاح تحلم أن تعيشه كل بنات جنسها .

في قصص ديزي الأمير دعوة دائمة للمرأة .. أن تتحرك وتعمل ، وتمارس حياتها بالشكل الذي يرضي ذاتها ، ويحقق لنفسها استقلالاً تاماً .. حتى إذا ما جاءت اللحظة التي قد تفقد فيها الرجل .. تكون اللحظة دون ألم ، ودون إحساس بفقدان شيء كبير .

إن الدعوة دائمة : أن تكون المرأة في الصفوف الأمامية ، فمكانها

—وهي نصف المجتمع— في الأمام .. وليس في الخلف .. خلف الرجل .. أو خلف دولاب الحياة الدائر الذي لا يرحم من يتوقف عن الركب .

النجاح الذي حققته الطيبة الأدبية كان نجاحاً ذاتياً .. نابعاً من الشعور بقدر المرأة على أن تكون ما تريد أن تكونه .. وليس بفضل رجل أو مسؤول .. أو ظرف يتاح لفرصة النجاح .. ولقد صورت ديزي في قصتها هذه قيمة النجاح ولحظة الإحساس بالفخار والفرح حين تجد المرأة نفسها في الصف الأمامي وقد قدمت شيئاً لبنات جنسها .. ولمجتمعها .. لا أن تكون في الصف الخلفي .. ولا أيضاً في الصف الأمامي وقد الغيت شخصيتها تماماً .. ورغم بريق جواهرها تظل بمثابة ظل يتبع الرجل .. ويطلب الحماية ..

هذه المجموعة .. تقدم أيضاً وعوداً .. لكنها وعود صادقة .. بأن الكاتبة ديزي الأمير .. معين لا ينضب من الطموح ، والعمل الدائم ، والعطاء المستمر ، وهي المرأة التي تقف وحيدة .. وتعز بوحدها .. وتثنى .. وتبقى المرأة التي تسجل اسمها بكل ثقة ككاتبة عربية متميزة .

ليلي العثمان

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>





شعر: محمد فهد سند

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أنىخى بعيرك ،

فالليل أقبل في همهمات الحرس

وفي نظرات الرِّفاق ،

وهم يثبون إلى الأرض عند المحطّات ،

يرتشفون كؤوس التّطوّح ،

بين الكلام وبين الخرس

وفي حمحمات الفرس

أنىخى بعيرك ،

ها أنت خلّفت أطلالهم ،

تتباكى عليها دروع العسس

و يوحى بدمعك ،

فَالصَّدْرُ أَوْشَكَ أَنْ يَتَفَجَّرَ ،
مِمَّا يَعْرِبِدُ بَيْنَ الْحَنَائِيَا ،
أَتَرَكِي صَوْتَكَ الْمُحْتَبَسَ
دَعِيهِ بِشَجَرِ كُلِّ حُرُوفِ الْكَلَامِ ،
يَطْهَرُهَا مِنْ رَمُوزِ الدَّنَسِ
أَفِيضِي عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ،
يَا رَبَّةَ النَّهْرِ ،
إِنَّ الْحَجَارَةَ مِنْهَا الْحَنَانُ انْبَجَسَ
أُرْ يَحْيِ رَجَالِكَ مِنْ عُدُوهُمْ فِي الْبَوَادِي ،
يَطَارِدُهُمْ جُوعُهُمْ ،
يَحْمِلُونَ تَغْرِيبَهُمْ بَيْنَ أَهْدَابِهِمْ ،
كَيْ يَعُودُوا بِرَأْسِ «مَسِيلْمَةَ» ،
الْمُدْعَى أَنَّ سَرَّكَ ،
بَيْنَ «سَجَاحٍ» وَبَيْنَ هَوَاهِ التَّنِيسِ
هُوَ الْآنَ تَحْتَ مِثْلِكَ خَيْلِكَ ،
وَالرَّأْسُ فَوْقَ أَسْنَةِ أَرْمَاحِنَا يَنْطُمِسُ
أَفِيْقِي ،
فَقَدْ أَسْلَمَ الْقَاتِلُونَ رُؤُوسَهُمْ لِلسُّيُوفِ ،
وَوَارَكَ شَرْدَ أَطْفَالِهِمْ ،
فَاسْتَفِيْقِي ،
مِنَ الْعَدُوِّ خَلْفَ بَقَايَا صَرَاحِهِمِ الْمُنْتَكَسِ
وَعُودِي إِلَيْنَا ،
كَمَا كُنْتَ مَتَّاحَةً لِلْحَيَاةِ ،
تَنَاجِي — مَعاً — عَمْرُنَا الْمُخْتَلَسِ

• • •

ككل مساءً أجالسك الآن وحدي ،
يرافقنا الصمت ،
يفتح ما بيننا لغة الأمس ،
تنتحيين ،
وتزرعين بصدري سيوفا ،
تُخاصم أعمادها ،
فافتحني الباب للدمع ،
أو للدماء ،
عساها تُخضّر ماقد ييس
يُعتي رجالك ،
خلف مضاربهم ،
للنجوم الحيارى ،
و يستبقون إلى التل ،
من يتفوق .. يفز بالرهان ،
و يتلون أنشودة النهر ،
ثم ينامون حتى تشير خيوط الصباح ،
إلى الكون ،
يقتلعون سيوفهم من جفون الكرى ،
يشبون على صهوات الجياد ،
تشير ين ينطلقون ،
تشير ين ينزرون رماحاً ،
فهتاً إلى الثَّهر ،
واغتسلي من عذابات ثأرك ،
وانتصبي — مثلما كنت — تاجاً ،
على رأس أحلامنا يُلتَمَس !!.....!!

رأي

نزار قباني وشيطان الشعر

بمقام الدكتور

جميل علوش

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>

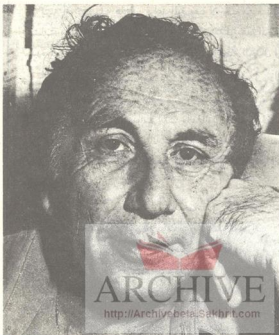
في اثناء تباعي لطرائق الشعراء في نظم قصائدهم وقعت على عبارة لنزار قباني أثارت في نفسي كثيراً من الضيق والنفور لما تحمله من شطط وتناقض وخروج على قواعد المنطق السليم. فنزار قباني في محاولته الاجابة عن سؤال حول الالهام والموهبة يقول : ظللت عشر سنوات أحاول وصف موقف امرأة حُبلى فلم أستطع . كنت نازلاً من على الدرج الحجري في منزلنا القديم بدمشق ، عند الدرجة الثامنة جاء المطلع :

لا تمتنع

هي كلمة عجلى ،

إنني لأشعر أنني حبلى ،

فانسحبت إلى غرفتي وكتبت القصيدة بخمس دقائق .



○ نزار قباني.

وهذا الكلام لا يتفق مع قواعد المنطق السليم . ولا يتسق مع أصول الموضوعية التي من المفروض أن يلتزم بها انسان يتحدث عن مذهبه في الشعر وفهمه لقواعد الشاعرية . ولكنَّ نزاراً يعلن من بدء الرحلة أنه لن يلتزم بها حين يقول : كيف أكون موضوعياً حين أكون أنا الموضوع ؟ وكيف يمكن أن أحدثكم عن مساحة جرحي حين أكون أنا الجرح ؟ ولعمري أن هذا اعتذار جميل بل تعبير شعري رائع ولكنه غير مقنع . فالذي يتحدث عن شعره هو ناقد ، والناقد ينبغي أن يكون موضوعياً .

بيد أن تنصله هذا من قواعد الموضوعية لا يعفيه من مسؤوليته عما يثبت في كتابته من مزاعم وادعاءات . وإذا لم يكن كلامه في هذا الموضوع موضوعياً ، فهل تعتبره ضرباً من الخيال والشروذ الذهني الذي لا يخضع للجدال والمناقشة ؟

إن محاولة قول قصيدة لمدة عشر سنوات دون افلاح في ذلك شيء عجيب . كما أن نظم قصيدة يعتز بها صاحبها في خمس دقائق شيء أعجب . فلماذا هذه المفارقة العجيبة بين السنوات العشر والدقائق الخمس ؟ ثم لماذا هذا الحرص على تحديد موضع نزول الوحي بأنه عند الدرجة الثامنة ؟ ومن يصدق أن نزار قباني الذي كان يستقبل الوحي كان مشغولاً بعد الدرجات ؟ وما الجدوى من تحديد موضع نزول الوحي بالدرجة ؟

الواقع أنني لا أعتقد أن نزاراً كان صادقاً في قوله ، فهو مولع بابتداع الغرائب واختلاق الأعاجيب حتى اتهمه الناقد منير العكش باحتراف الإثارة . وهي تهمة صحيحة على الرغم من أن نزار قباني حاول أن ينفذها . ونزار في سبيل تحقيق هذه الإشارة يرتكب ضروب التصنع والتكلف وتغيير المواقف وتبديل الملابس . وهو يؤكد ذلك حين يقول : انني لم أتوقف لحظة من اللحظات عن تغيير جلدي . ومن المعروف أن الإنسان الذي يغير جلده هو إنسان ممثل يحاول أن يقتنع رضى الجمهور أكثر من حرصه على أن يكون صادقاً في التعبير عن نفسه . وهو يسوغ هذا التغيير المستمر في أنماطه الشعرية بقوله : وانني إذا لم اغير طريقة ركضي وسرج فرسي سقطت تحت حوافر الخيول المتسابقة . ونزار بقوله هذا يعبر عن نزعة قوية لمنافسة الشعراء ومطالبة العمالة منهم تفوق رغبته في تصوير عواطفه والتعبير عن خوالج نفسه .

إن نزار قباني شاعر المرأة يحاول في حديثه عن نزول الوحي على درج منزله بهذه السرعة أن يشبه نفسه بالمرأة التي قد يفاجئها الطلق في الشارع أو في الحديقة أو في القطار أو على درج المنزل . ولا بد من الإشارة إلى خطأ مثل هذا التصور لأن طلق المرأة ظاهرة حتمية غير ارادية ، في حين أن تدفق الشاعرية عملية فنية تعتمد على الفكر والارادة فيستطيع الشاعر أن يتجنبها إذا أراد مهما

كانت حدتها وقوة تدفقها .

والعجيب أن نزاراً يناقض نفسه في أكثر من موضع حين يقول مثلاً : « إنَّ الشعر العظيم لا يعتمد أبداً على الحظ والصدفة » وإذا لم يكن نزول الوحي على الدرجة الثامنة من درج منزل نزار صدفة فأين الصدفة ؟ وهل ينفي هذه الصدفة زعم شاعرنا أنه فكر في القصيدة لمدة عشر سنوات ؟ لأنَّ هذا التفكير هو مجرد زعم ينفيه نزار نفسه في مكان آخر حين يقول : اعترف أيضاً أنني لا أفكر في قصيدتي تفكيراً سابقاً .

إنَّ نزاراً لا يؤمن بالصدفة ولا يفكر في قصيدته تفكيراً سابقاً . و يز يد على ذلك قوله : « إنَّ الأدب ليس ابن السهولة ولا ابن المصادفة » . وعلى الرغم من ذلك كله يزعم أنه نظم قصيدة من جياذ قصائده في خمس دقائق وأية مصادفة أكبر وأضخم وأغرب من هذه المصادفة ؟ وكيف نستطيع ان نوفق بين هذه التناقضات والمفارقات في أقول نزار ؟

ولكن أليس لنزار طريقة أو منهج في نظم الشعر ؟ ألم يتحدث عن أسلوبه في النظم وعن الساعات التي يقتضيها لذلك ، وعن شيطان شعره كيف يراوده و يحوم فوق رأسه ؟ بلى لقد تحدث نزار عن كل ذلك وحاول أن يقدم لنا منهجاً معيناً حرص أن يحمل ملامح نزار وسماته .

فهو يقول : كل يوم أضع ورقة بيضاء أو زرقاء وأقف أمامها مثل الصياد من الاسكيمو يشقب الثلج و يجلس ينتظر أن تسأله أين السمك ؟ يجب سيأتي وحده .

و يقول أيضاً : القصيدة تبدأ عندي بهذيان موسيقي ، بغمغمة ، بكلام لا معنى له ، ثم تأتي اللغة لتنظم هذا الهذيان وتحتويه وتحبسه في داخل زجاجة المفردات .

و يقول في تصوير بعض جوانب هذا المنهج : أرجع للظلام وانظر التمازج البرق من جديد . قد يطول انتظاري له وقد يقصر . ولكنني لا أحاول أبداً

استحداث برق صناعي .

و يقول كذلك : حين تبدأ القصيدة في ملامسه جسد الورقة تبدأ مترددة متلعثمة وخائفة من الفشل .

ولعلّ نزاراً في هذا النص الأخير يعطينا برهاناً آخر على عدم صدقه في زعمه بأنه نظم قصيدة يعتز بها في خمس دقائق ، لأن القصيدة حين تبدأ مترددة متلعثمة تكون بحاجة إلى مزيد من التكامل والتضكير حتى تصبح أكثر قوة ونضجاً . وهذا الوقت لا يمكن أن يكون بأية حال من الأحوال خمس دقائق .

على أن نزاراً بعد هذه النصوص التي يصف فيها طريقته في النظم وفي استدراج الوحي وفي مغازلة عرائس الشعر، يعلن أنه لا يعرف على وجه الدقة كيف ينظم الشعر وإنما هي مجرد ملاحظات ولقطات لا تكفي لأن تكون منها نظرية أو منهجاً فيقول : انني أكتب الشعر ولا أدري كيف ، كما لا تدري السمكة كيف تسبح والعصفور كيف يطير . و يضيف إلى ذلك قوله : ليس عندي نظرية عن ذلك الزوال الذي يركض تحت جلدي .. من أين يجيء وإلى أين يذهب .

وصفوة القول أن نزاراً لا يملك دقة العلماء في حديثه عن تجربته الشعرية . فهو مولع باقتناص التشابه والاستعارات والكنائيات الطريفة حقاً . وهو يحاول أن يكون متفرداً في نثره كما يحاول أن يكون متفرداً في شعره فيقول : كنت أبحث باستمرار عن وجهي وصوتي بين ألوف الوجوه والأصوات . استعارة أصابع الآخرين وبصماتهم لم احترقها ، كنت أريد أن أكتب بأصابعي أنا وأترك على الورق بصماتي المميزة . ولعل مشكلة نزار أنه لم يحاول أن يضع حداً فاصلاً بين نثره وشعره على أساس أن لكل منهما شروطاً وقواعد . فالاستيحاح بينهما هو مشكلة نزار الكبرى فهو يلغي الفاصلة بين الشعر والنثر حتى نراه في شعره نائراً وفي نثره شاعراً .

ولعلّ إلحاح نزار الشديد على أن يكون بارز السمات واضح المعالم أوقعه في كثير من التكلف والمبالغة والتناقض وهو يتحدث عن تجربته الشعرية .

وصفوة القول أن نزاراً شريط طويل من الصور المتحركة التي قد يرضيك بعضها ولا يرضيك بعضها الآخر . وقد يبلغ بك الرضى حد التهليل والاعجاب و يبلغ بك عدم رضاك حد النفور والسخط إلا أن الموقف النهائي يبقى في مصلحة نزار وإلى جانبه . ولكن هذا لا يعني ألا نختلف معه في بعض التفاصيل ولا سيما كتاباته النقدية وحديثه عن الشعر والشعراء . ولعل سر هذا الخلاف أنه غير موضوعي كما يعترف نزار نفسه . ونحن حر يصون كل الحرص على توفر الموضوعية وبخاصة في الحديث عن الشعر لأنه يلحق بالنقد الأدبي والنقد الأدبي ينبغي أن تتوفر فيه الموضوعية .

والفرق كبير بين أن نتحدث عن نزار شاعراً وأن نتحدث عنه كاتباً وناقداً . فأنا معجب دون شك بشعره الكلاسيكي وأرى أنه يسير فيه مع الطبقة الأولى من شعراء العصر في كثير من الأحيان . وهو إلى ذلك يملك وجهاً متفرداً بين الوجوه الكثيرة التي تطل علينا في هذه الأيام .

وأنا أعلم أن من النقد من يهاجم نزاراً بسبب سلوكه الشخصي ، ومنهم من يهاجمه بسبب مفاهيمه وقناعاته في الحياة ومنهم من يهاجمه لخروجه في أحيان كثيرة على قواعد الشعر الكلاسيكي ، ومنهم من لا يعترف به شاعراً بدافع المنافسة والصراع على قصب السبق .

وعلى الرغم من أنني لا اعتبر نزاراً من الشعراء المفضلين لدى الشعراء المفضلون لدي هم الجواهري وعمر أبو ريشة ، وعلى الرغم من أن لي مأخذ كثيرة على نزار تتصل بخروجه على عمود الشعر العربي وتهجمه على القديم والتقدم وانجرافه في تيار قصيدة النثر وبعده عن المنطق والموضوعية في معالجه لقضايا الشعر ، على الرغم من ذلك كله يبقى نزار ذا وجه محبب إليّ .

ولسنا في سبيل الحكم على نزار ومناقشة مكانته بين شعراء عصره فكل ما قصدنا إليه هنا هو الإشارة إلى ميزة بارزة فيه هي ظاهرة التناقض والتأرجح بين المواقف المتباينة فتارة هو مع الحديث وطوراً هو مع القديم . فهو لا يعرف التوسط في مواقفه بل هو لا يعرف المهادنة لأنه في حالة حرب دائمة مع التيارات

والا اتجاهات فهو من الناس الذين حبههم سرف و بغضهم تلف .

إن نزاراً يغير جلده كل يوم حتى يكون ظريفاً ومثيراً . إنه مولع بالإثارة وموكل
بطلب الغرائب و بالبحث عن المفاجآت . وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف لا
بدع عنده أن يهاجم القدماء بل لا بدع أن يحارب المحدثين أو أن يكون قديماً
وحديثاً في الوقت نفسه . إن نزار قباني يطلب الشهرة و يسعى وراء الإعجاب
و يتقصّد الإثارة . وهذا هو سر ولعه بالمتناقضات بل لعله سر استخدامه أشكالا
شعرية مختلفة ومتباينة . فقد نظم الشعر العمودي والحر والمنثور واستخدم كل
بدع المحدثين وخاض في كل البحور وركب كل الأمواج في سبيل تحقيق
أهدافه وغاياته . لا بدع بعد ذلك كله أن يقع في التناقض سواء كان وقوعه هذا
مجرد مصادفة أم عن قصد وتعمد .

إنه شاعر المتناقضات دون ريب .

د . جميل علوش





السرّي

قصة قصيرة - جابر بن حنبل

تصل إلى الحجرة وشوشات خارجية .
سعلت الأم وهي ما تزال نائمة على
السريّر الصغير الحديدي الضدّاء ..
غمغمت «عزيزة» ، أحست أن
قدميها بارزتان - إذ لسمعها يرد

منذ قليل أذن للفجر .. وسعى
عدد قليل من الناس في الطرقات ،
ورغم الهدوء الذي يحط على الشارع
الضيق المرصوف بقطع الحجارة
البيضاء - غير المتساوية - كانت

مفاجيء — سحبتهما بسرعة تحت
الغطاء الخفيف ، لم تشعر بالدفع ..
نهضت فزعة ، تسال الضوء من خلف
النافذة الخشبية التي تبعد ألواحها عن
بعضها بفروق بسيطة ، وتقول الأم
للأولاد مبررة ذلك :

— لتغيير النفس

الصباح والبرد ورائحة الأنفاس ..
والقلق . أدركت « عزيزة » أن ميعاد
العمل قد حان ، جلست محنية الظهر ،
تأوه طفل صغير بجانبها ، هرشت
شعرها الناعم الأسود الطويل كثيرا ،
زحفت أصابعها النحيلة تهرش ظهرها ،
رفسها الطفل الصغير ، وقفت وسط
الحجرة تماما .. الحجرة ذات سقف
منخفض ، يتدلى منه سلك قصير لالون
له لأن بقايا الذباب غطته تماما ، في
نهاية السلك مصباح كهربائي صغير ،
مفتاح المصباح بجانب الباب مباشرة
ومن حوله جحور الحشرات التي ترعجهم
في الأيام الحارة — لكنها الآن
مستكنة — و « عزيزة » في راحة من
محاولة تنظيفها بالجاز .

تحت النافذة كنية خشبية ينام عليها
أخوها الأصغر منها مباشرة ، وهو عامل

بأحد المصانع المتناثرة في المحلة
الكبرى ، عنده قميص أحمر ذو أزرار
سوداء مربعة وياقته طويلة مدببة
و يرتديه دائما على « البنطلون » البني
القديم الذي قصر كثيرا ، وعلى نفس
الكنبة ولكن في الاتجاه الآخر تنام
اختها الأصغر من أخيها مباشرة .

قامت الأم من على السرير السفري
الصغير — وكان المرحوم قد اشتراه قبل
موته بالتقسيط — وشدت جلبابها الأسود
فوق فخذها العاري ، وقالت بحماس :
— بسرعة يا عزيزة ..

الوقت يمضي مسرعا .. اقتربت
الساعة من الخامسة ، قامت « عزيزة »
حشرت قديلها في شيشب صغير — هذا
الشيشب — يستعمله الجميع — فتحت
باب الحجرة .. اصطدمت ببرودة
الصباح الشلجية ، اتجهت إلى دورة
المياه التي تغوص في ظلمة شديدة .
يجب أن تصل إلى محلج القطن قبل
الخامسة والنصف . ضل صرصار طريقه
فسار على قدمها ، أزعجت قدمها قليلا .

محلج القطن . نبهت على بقية
الزميلات بضرورة الذهاب اليوم مبكرا
إلى المحلج ، سمعن أن واحدة كلمت

ريس الأنفار عن العمل اليوم بالمحليج ،
ستأتي — هذه الواحدة — لتقف بدلا من
واحدة منهن أمام الدولاب . داهما
الخوف . والقلب يضطرب ، خرجت من
دورة المياه ، أغلقت باب الحجرة ،
قالت أمها النحيلة :

— بسرعة يا عزيزة أو الريس يرجعك .

قصت على أمها النحيلة ليلة أمس
قصة البنات التي ستحضر إلى المحليج
لتشتغل معهن . « عزيزة » لا تملك
عشرة قروش حتى تغمز بها الريس
ليعطيه الماركة ، الماركة صفراء باهتة
وباردة أيضاً . لو تملك عشرة قروش
لأعطتها له . ولكن من أين ؟! مازالت
باقية ثلاثة أيام على القبض . خلعت
الشيشب من قدميها ، داست على
الحصيرة ، انحنت ، مدت يدها تحت
السرير جذبت صحن صغيرا من النحاس
— أمها تعتز به فهو من أيام الزواج
الأولى — به قطعة من الجبن القريش ،
أكلت جزءا منها ، ارتدت الجلباب
الأخضر ذا الزهور الكبيرة الذي تذهب به
إلى المحليج كل يوم .

— بسرعة يا عزيزة .

قالت أمها ، وكانت تعلق بعض

الملابس القديمة على أحد المسامير
الغليظة فوق الحائط الأرق الباهت ، ثم
أردفت :

— ربنا يكون في عونك .. هو الأعلم .

الخوف يزحف ثقيلًا على نفس
« عزيزة » . المشوار لا يزال طويلا حتى
تصل إلى محليج القطن . على البوابة
ينتظر الريس . واحدة منهن لن تدخل
اليوم ، لأن البنات التي ذهبت له أمس
أعطته ربع الجنيه ، سينظر إلى أي
واحدة منهن وهي تقدم له سركي
الدخول ، تحسست « عزيزة » صدرها
في خوف .. تطمئن على وجود
السركي ، بدونه لا يدخل أحد .. يراه
الريس ، تبعد اليد النحيلة — غالبا —
لتأخذ الماركة الصفراء ، عضت
« عزيزة » سبابتها اليمنى ، وقالت
لنفسها : لو استطعت الحصول على
ماركة .

ربما ينتظر الريس في قرف إلى
واحدة منهن و يقول بكلمات قليلة جداً
ولكنها قاضية :

— ارجعي النهارده .

جذبت « عزيزة » الملاعة السوداء
من تحت الابن الأصغر .. قالت لها

الأم :

— ايوه .. علشان تبعد البذرة عن القطن .

— خذي بالك يا عز يزة .

تقف في حذر أمام الدولاب ،
تخاف أن تأكل السكينة ذراعها .
سمعت عن حدوث ذلك كثيرا . والقطن
القذربه كثير من الغبار ، والأتربة
تتصاعد تملأ الأنف ، تضيق التنفس ،
ترجع للهواء قليلا في حذر خوفا من
العربات التي تمرق خلف ظهرها —
التي تحمل القطن لتوزعه داخل العنبر .
تسعل .. ثم تبصق .

— دولاب .. أو سكينة !!

هزت رأسها .. اتسعت خطواتها
المتوترة كثيرا ، تمنت لو أمسكت اليوم
بالماركة الصفراء . بعد ثلاثة أيام
سيعطونها أجرة الأسبوع ، والاسبوع سبعة
أيام .. والأجر يضيع في يوم .. والولد
الأصغر منها مباشرة والعامل بأحد
المصانع لا يأتي بقرش واحد ، كله على
السينما ذات الخمسة قروش ، وأحيانا
على السجائر التي ينفثها بين أصحابه
بفخر !

خذي حذرك يا عز يزة ، الأم لا
تدري من أي شيء تأخذ حذرها

— خذي بالك من نفسك يا عز يزة .

الشف في الملاءة السوداء . لم
تستطع اليوم تنظيفها من غبار القطن
كعادتها كل صباح ، تحسست السركي
مرة أخرى ، اطمأنت ، وضعت قدميها في
الحذاء البلاستيك الأسود ، خرجت
مسرعة . اتسعت خطواتها على الطريق
المرصوف بقطع الحجارة البيضاء ،
ستخرج للشارع العمومي ، تسير مسافة
ربع ساعة ، محلج القطن في وسط
المدينة ، أمامه مباشرة سينما تدخلها
زميلاتها بخمسة قروش ، و يقصصن
عليها أشياء عجيبة ، ولقد حفظت اسم
سعاد حسني جيدا ، المحلج ليس بعيدا ،
ربع ساعة كل يوم .. تعرف ذلك جيدا ،
واليوم تخاف هذه السكة .

— خذي بالك يا عز يزة ..

كل يوم تسمع هذه الجملة ، تقول أم
عز يزة ذلك وهي لا تدري تماما من أي
شيء تأخذ « عز يزة » حذرها ، ويقولون
.. وتسمع الأم ذلك : أن ابنتها
« عز يزة » تشتغل على آلة يسمونها

الدولاب :

— يقولوا فيها سكاكين يا عز يزة .

بالضبط ، لكنها تعرف أن الغبار يملأ
المكان، يقولون : انهم يشتغلون ساعتين
و يستر يحون ساعتين :
— أبدا نشتغل على طول . القطن كثير
ومليان بذور .

يقولون : انه يصيب بالسل .

— رجاء بنت أم صابر انصابت بالسل !!
السماء بدأت تتكشف عن الضوء ،
الشوارع يسير فيها الأنفار .. والأيدي
تلتمس الدفء في الجلابيب
و « البنطلونات » . الأبخرة تخرج عند

القاء تحية الصباح ، وزفرات الضيق .
راقبت « عزيزة » الناس في ملل ،
المسافة اليوم طويلة لا تنتهي .

— الحمد لله .. الغبار لسه ما عملش
حاجه معايا .

الغبار .. السكينة التي تفصل البذور
عن القطن .. تنهدت .. لعلمت الملاءة
السوداء حول جسمها . أسرع .

في الطريق التقت بزميلتها
« روحية » سلمت عليها .. وجهها
الأبيض النحيف يميل إلى الاصفرار .
— الدنيا برد .

— الدنيا برد .

الدولاب .. السكينة .. العنبر
الواسع .. البلاط البارد .. البلاط
نظيف .. لامع .. بارد .. بارد .
— يا ترى مين هيرجع يا ولاد ؟!
تمتعت عزيزة :
— الأرزاق على الله .

المحلج .. المبنى الكبير ..
الساكن . المحلج الخوف والرهبة .

أسرعتا الخطى ، اقتربتا أكثر من
باب المحلج ، هبط القلب فجأة . اصفر
وجه « عزيزة » أكثر عندما رأت كل
الزميلات — على غير العادة — وقد وقفن



أمام البوابة . اقتربنا .. تحسست
« عزيزة » السركي ، أخرجته ..
احتضنته في كفها بقوة ، وقفت مع
زميلاتنا .. ألقت تحية الصباح ، خرج
البخار من أفواه بعضهن .

اصطدمت عيناها فجأة بوجه جديد
شاحب .. واحدة لم ترها من قبل ،
لاحظت طرحتها النظيفة من الغبار ،
تبادلت مع « روحية » نظرة خوف .
أقبل الرئيس ، قسما وجهه شرسة ،
وعيناه الضيقتان تتفحصهن جيدا .

قالت عزيزة في نفسها :

« عشرة صاغ زيادة يا اولاد » !!

جلس الرئيس فوق الكرسي
الخشبي ، أمامه في الصندوق الماركات
الصفراء ، ارتعشت « عزيزة » قالت
لنفسها :

« ربنا يخليك يا رئيس شغلني
النهاده »

وكانت كل واحدة منهن تردد هذا
الدعاء بعينه .



ظلمة الغموض في الشعر الحديث

محمد عبد الواحد محبازي

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ومن الغموض الرمزي ماهو أوغل في الإلغاز والتعمية .. وقبل أن نحلل
ونفحص لنهتدي الى العلة الكامنة وراء هذه الآفة فإننا نعرض نموذجاً لهذه
الدرجة من قصيدة: «زوبعة البيوت البشارة»، للشاعر أحمـد ريان .. فقد
جاء فيها :

وتصدأ الصقور وأنت يا حبيبة
عصفور الكنيسة التي تنام في ضلوعي
في نبض خطوتي
ورأيت برق الأرض
ديك الخرافة الذي يحرق البيوت

ودخلت نمت في الحرمك العتيق
وجاءني الحنين ضمنى فخرجت من باب القصائد وانتشيت
وفي توتر التوتر
راقبت صف صفائح الماء القديم نجىء عند السقوف الواطئة
تشيلها البنات بالرءوس والأذرع
فصرخت في توتر التوتر
لا ماء إلا في استدارة قلبي
قلبي الشديد الاستوائي
حببتي التي نجىء لى من فسقية الموتى تقول لى : مختارة
مختارة وأنا أقول :
تلك البيوت أصابع البيانو
تلك السلام القصيرة التي تذوب في مداخل الديار
تلك الدسائس والبطولات ، التحزب ، والجواسيس
التمزق ، يامنحني ، يامنحني
خذني الى سوق الرخام
والبوص والبص الخجف والزحام



ومن التعبيرات الشائعة أن «الرسالة تعرف من عنوانها»، وهذا ماينطبق
تماماً على هذه القصيدة بل وعلى الشاعر نفسه .. فيكفي أن تقرأ العنوان
لتعرف ماستقرأه أو ماستواجهه فالعنوان في «تركيبته» الغريبة هذه يعلن أن
الأمر جد غريب وأنه ليس هين الشأن فعلى من يقع بصره على القصيدة أن
يقرأها وكله جد ووقار، بل وكله عقل متفتح وقلب واع يقظ .. فالعنوان :
«زوبعة البيوت البشارة» يقول بذلك ويحتمه فهو مكون من ثلاث كلمات
لكل منها في سياقها معناها وموسيقاها التي تأتلف مع الكلمتين الآخرين
تشكّن جملة أقل مايقال فيها أنها شذوذ الغرابة في التعبير أو غرابة الشذوذ في
التصور والتفكير.

وتبدأ القصيدة بقول الشاعر في السطر الأول : « وتصدأ الصقور وأنت يا حبيبة » .. فهذا التنافر الظاهر من حيث الدلالة اللغوية للألفاظ والدلالة الرمزية المقصودة لا يخلق غموضاً فحسب بل وإغراباً وإلغازاً ، إذ ماهي الصقور التي تصدأ ؟ أهى الغرائر أو الدوافع الفطرية حين يصيبها وهن اليأس وفقدان الرجاء ؟ قد يكون ذلك ولا سيما وقد جاءت عبارة « وأنت يا حبيبة » بما يوحي بذلك .. ثم جاء السطر الثاني لينقذ عقولنا من ذلك الإلغاز المضل فيقول عن الحبيبة : « عصفور الكنيسة التي تنام في ضلوعي » .. فهو هنا يرمز في شيء من الغموض المشف الرقيق : فالعصفور رمز للرشاقة والركة والوداعة ، والكنيسة رمز للأمن والحب والسلام .. وحين تنام في ضلوعه فإن ذلك يرمز الى مدى حب الشاعر لحبيبته وعطفه عليها . ويكاد هذا السطر يكون هو الوحيد الذي يحمل معنى أو يجسد شعوراً رقيقاً أو موقفاً غرامياً موحياً .. ثم تتوالى أصداء الغموض الملغز : فإلى أي شيء يرمز حين يقول : « ديك الخرافة الذي يحرق البيوت » ؟ فأى خرافة يعني ؟ وبيوت من ؟ وإلى أي شيء يرمز حين يصطنع أسلوب التعمق في الغموض فيقول : « راقبت صف صفائح الماء القديم تحبىء عند السقوف الواطئة ؟ .. أو حين يقول : « وفي توتر التوتر » .. أو حين يقول : « أحببتي التي تحبىء لي من فسقية الموتى تقول لي محتارة » .. فأية فسقية هي تلك التي تقذف العالم بأشلاء الموتى ومن ذا الذي أنطقها لتقول : محتارة ؟ ولماذا تختار وقد اراحت واستراحت ؟

ثم يقول الشاعر بانفعال فيه حران الصبية الذي يدقون الارض بأقدامهم ويرفعون أصواتهم بصريخ لاهدف له سوى الحران .. فهو هنا يؤمننا بأنه جد وجيع لما أصابه ، جد هلع الوجدان مما يعانيه أو جاق به ، فهو يقول : « تلك الدسائس البطولات ، التحزب والجواسيس .. التمرق ، يامنجي ، يامنجي » .. وأخيراً يقول في سطرين متتابعين :

خذني الى سوق الرخام

والبوص والبلح المجفف والزحام

فامعنى : « سوق الرخام » ؟ .. أهو سوق العبيد ؟ .. وما معنى : « والبوص

والبهلج المجحف والزحام»؟.. وماهي العلاقة بين سوق الرخام و«وكالة البهلج» (١) بالقاهرة، إلا أن تكون السجعة قد أسكرت أو سلطنت دماغ «اليه» فحسب أنه شاعر وأن مايقوله شعراً؟

هذا النوع من الغموض الرمزي إن أجزئ لنا أن نجعله غموضاً رمزياً له دلالات وبواعث متعددة: منها — فيما نرى — أن سوق الشعر أصبحت «حرة» ومباحة لكل ناعق قد ضاعت فيها الحدود وامتهنت القواعد وهبطت قيمة العملة النفيسة وأصبح الحصول على رخصة لارتداد سوق الشعر سهلاً هيناً.. وهذا صحيح فانتحال المعاذير واختلاق الذرائع للتحلل من الالتزام بقواعد البناء الشعري قد أفقد الشعر عنصره الجوهرى وهو الموسيقى فغياب الموسيقى أو انعدامها يفقد الشعر القدرة على التأثير الوجداني في النفوس والتأثير التصوري في الخيال.. وكذلك الضعف الظاهر في اللغة العربية من حيث الحصول للغوي وبناء الجملة بناءً نحوياً سليماً.. يضاف الى هذه الأسباب فقدان الإحساس الموسيقي بالفاظ اللغة والتذوق الجمالي لها.. ولو عقل هؤلاء المتشاعرون معنى التخفيف من موازين الشعر، وكذلك الاستخفاف بقواعد النحو والصرف والأصول البلاغية، لعلوا أن الشعر المرسل الذي يحتفظ بالإيقاع دون الوزن، هذا إذا أفلحوا في إبداع الإيقاع الذي يشئ بأن الأذن تسمع شعراً أو أن العين تقرأ شعراً: «أشقى» (٢) من السير على الأوزان التقليدية لأنه يستلزم دراية بأسرار اللغة الصوتية والانفعالات التي تتراسل معها ومايتبع ذلك من تلميح وتركيز وسرعة وبطء وتكرار وتوكيد وتنويع في النغم لايمكن أن يوفق فيها إلا ذو رهف في الحس وثقافة فنية ولغوية واسعة».

ومن الأسباب أيضاً شيوع فكرة أن الشعر الغامض هو «أحدث صيحات عالم الشعر الحديث». فالغموض لايستحب فحسب بل هو أيضاً واجب ودلالة على الشاعرية المبدعة.. وكلما كان الغموض أوغل في الالغاز — ولو كان إلغازاً مسفهاً سقيماً يعيب بالمشاعر والأفكار والمبادئ الأخلاقية للتأصر

الاجتماعي — لكان أدل على عبقرية الشاعر وتساميه في ملكة الإبداع .. لكل هذا وجدت الإمعية السطحية اللاهثة وراء الاستزاق من الكتابة السبيل ميسرة إلى سوق الشعر .. فلا غرابة إذن حين يجد كل مريض النفس سقيم الذوق متخثر الشعور ضالته في نزعة الغموض الرمزي ليهرف بما يشاء حيث لا رقيب ولا حسيب ..

ومثل لذلك الدرك الأسفل من الغموض المزري الذي تتقزز منه النفوس وتنقبض الصدور بقول متشاعر اسمه ممدوح بدران ، وهو من شيعة أمجد ريان . مثل له بقصيدة عنوانها : « حاملاً في رحيلي الشرعي كوكب الأبوة » .. وأنا أرجو القارئ أن يتدبرها بامعان حتى يصل الى المراد بإذن رب العباد .. يقول ممدوح بدران :

بيني وبينك باموت شعرة النبوة
حاملاً في رحيلي الشرعي كوكب الأبوة
وثعابين بجسدي وشفائي في جراب السموم
بيني وبينك باموت خطوة اللغة
والسوط والأوجه المهانة
والصرخة الحمضية
والضحك وساحة الأمراء والافئدة
الملثمة
والأسطر الناقصة المثقوبة الفواصل
والأحرف الساكنة بمجبرات النار
ومراكب العيون والرماح والأحصنة
الشتوية



ثم لنترفع فوق هذا الغناء ونعود الى الأنواع الجيدة من الغموض الرمزي : فنها النوع الدعائي أو السياسي — وقد أشرنا اليه من قبل في شيء من الإيجاز —

وله في نظرنا صفتان لكل منها مناسبتها التي تدعو الشاعر الى تجسيد مشاعره أو تصوراته في رموز بيانية يسبغ عليها ظلالاً من الغموض بقدر ما يحتاج اليه الموقف من تقيية .. فقد يلجأ الشاعر الى غموض التويه إذا خشي رهقاً يصيبه من ذوي النفوذ فغموضه من ثم قد يكون هرباً وقد يكون إيقاظاً وتوعية .. ولذا فإن الشاعر حين يلجأ الى الغموض الرمزي في قصيدة سياسية فإنه قد يستعين بالصور الواقعية في أشكائها ودلالاتها المستقرة في صميم البناء الاجتماعي وسيلة لتقريب صورته الرمزية من إدراك جماهير القارئین — أو السامعين — بل إنه قد يستعين بالألفاظ المتداولة التي تقرب من العامة في تركيز الصور الرمزية وإبرازها في موقف متميز بارز السمات موحى الدلالة. وهذا مما يعطي صور الغموض الرمزي من الحيوية والفاعلية ما يجعلها قادرة على استشارة الجماهير أو على الأقل يجعلها تفكر فيما هو كائن وفيما يجب أن يكون.

وربما جاء الغموض الرمزي السياسي ذو الشكل الدعائي في صور عاطفية تنبض بانفعالات الحب والوفاء للذهب الاجتماعي معين سواء صدرت الرموز المعبرة عن حب إشاري صادق أو عن حب نقعي فهو في هذه الحالة — وإن كان الحب الصادق لا تخفى نضارته وأصالته في الرموز التي تبدعها قريحة الشاعر الصانع — قد يلجأ الى المشاهد الطبيعية الحية فيتخذ منها ما يصور انفعالاته ورؤيته للحياة بما يوحي أنه لم يفعل شيئاً سوى أنه قدم لنا مشاهد من الطبيعة وهي في تلقائية حركاتها ورفيف شاراتها وكأنها تقاسمه معاناته أو تشاطره المصير.

ولعلنا نصيب بغيتنا من هذا النوع من الغموض الرمزي الدعائي واضحاً متميزاً برونق لا بأس به من النضارة والوضاعة عند عبدالوهاب البياتي في قصيدته :
« برلين في الفجر » ؛ فهو يقول :

غداً الفجر على أقدام

تمثال جنديك

يا برلين
أسراب من النمام
وغصن زيتون وأقواس من الغمام
أموت من أجل عناقيد الضياء الخضر
في كنيسة :
صلاة تقام
من أجل أطفالك
يا برلين
من أجل العيون الزرق والسلام
أموت في كأس حليب ساخن
في زهرة صوحها الغرام

ونجد النوع الرمزي المتميز بالطابع الاجتماعي على أصرح ما يكون عند الشاعر محمد مهران السيد، الذي يمكن أن نصفه بأنه الشاعر المحترف للإثارة الاجتماعية فهو يتظاهر بأنه يرى ذاته في أخص خصائصها وأدق خلجاتها من خلال الصراع «الدينامي» للمجتمع .. ويتظاهر أيضا بأنه يرى المجتمع في أظهر أطوار تدافعه من خلال ذاته التي تتعاطف تعاطفاً إثارياً حياً مع مجتمعه وبيئتها .. فرموزه من ثم تجمع بين الدلالة الذاتية والدلالة الاجتماعية .. وخير ما يمثل نزعتَه هذه قصيدته : «عفوا .. أنا لا أعطيك الحكمة» . فهو يقول في مستهلها :

وتبعثرت أحلامنا في اللامكان
وتناثرت في اللازمان

وقد يرى البعض أن هذا الكلام مجرد «لغو» لامتني له إذ أنه من حيث منطق الفكر الفلسفي لا يوجد شيء اسمه «اللامكان» أو شيء اسمه «لازمان» .. ولكننا نقول إن مشاعر الحيرة والإشفاق استولت على خيال

الشاعر وفكره ووجدانه حتى أنها أسلمته الى ما يشبه دوار القلق النفسي الذي يُفقد المرء الإحساس بمحدود الزمان وقيود المكان ولذلك فإن تعبيره الرمزي جاء من حيث منطق الوعي الوجودي ضروريا للتعبير عن عنف المشكلات التي يعيشها الناس وكأنه لأمل في حلها ، حتى باتوا سكارى وما هم بسكارى .. فالشاعر بذلك يهد لنا لدخول عالمه علنا نستطيع أن نحس بالآلامه وندرك أحلامه . إنه يرمز إلى مبلغ العنت الذي أشقى الناس فيقول : « نخلتنا أيدي الأيام العفنة » .. ثم يصور ماتردى فيه الناس فيقول : « فتساقط الواحد بعد الآخر .. والحفنة تتلوها الحفنة » .. ثم يتساءل في أسمى إنكار مصوراً إحساسه النفسي بل وعيه العميق بمن هم جرثومة الشقاء فيشير بالرمز القوي الذي يجمع بين العلة والغاية فيقول : « من باع الطفل العريان الفاقد أبويه — بكرسي مشبوه » ..

وما أبلغ رموزه التي صور بها المحنة الأخلاقية التي نجمت .. ما أبلغها من حيث دلالاتها التي تجسد طبيعة الإفلاس الأخلاقي وذلك حيث يتقاذف الناس بالتمهم وحيث يترشقون بالأسرار التي أفضت الى المحنة وذلك حيث يقول :

وتقاذفنا ثوب التهم الشوكية في دعر

— يقصد منه التوبيخ

وتبجحنا حتى جف الريق المر فأثرنا الغوص

بقيعان المدن الصحراوية

وطفونا فإذا بي وحدي المشدود

ووجد الشاعر أن لامناص من الإيغال في الغموض الرمزي وذلك بالاستعانة ببعض الصيغ الشائعة والمألوفة التي وجد أنها كافية لإخفاء ما يسعى إلى نفثه في الوعي الاجتماعي ، فهو يقول :

عفواً فأنا لا أعطيك الحكمة

ولكنني أضرب فوق الوتر الحساس

حتى أوقف فيك النخوة

وبعد هذا يتطلق نحو تكوين بواعث الحقد في النفوس فيقول :

ولنرجع لحديث الدم
فهو الجذر وأصل الأشياء الصلبة والرخوة
وهو التاريخ المروي على مليون
— رباب ورباب
المحفور تجاعيدا فوق جباه الناس

ثم يجعل من التجاعيد « المحفورة فوق جباه الناس » شعراً للانتقام الدموي
الغوغائي الذي لا يحفل بعرف أخلاقي أو آداب اجتماعية ؛ فهو يقول :

ولتبت عينك في قاع المرأة الحمراء
حتى لا تنفلت منك وجوه عصابات المافيا
وهواة الانتيكات
والبلذخ الهاروني المستورد



ARCHIVE

ومن الغموض الرمزي ما يرجع إلى ما قد يعزو الشاعر من نزعة فلسفية في
نظراته إلى الحياة ممثلة في ظواهرها الحضارية وما يدور فيها من مشكلات
وصراعات .. وفي مظاهر الطبيعة وما يحدث لها من أحوال التغير والتحول
والازدهار والانهيار أو الذواء والغناء .. قد يرى الشاعر ذلك كله بوحي عميق
الفكر ذكي القلب متوقد الخيال فيخرج لنا رموزاً هي آيات من البيان
الشعري تفوق في حيويتها وعمق تأثيرها كل ما كتبه الفلاسفة المتخصصون
الذين صدعوا الرؤوس بمشكلات الفلسفة وقضاياها وتجرباتها .. والمزلق
الخطر الذي قد ينحرف إليه الشعر الفلسفي هو أن يعتمد الشاعر معالجة
مشكلات الحياة على سنة الفلاسفة المحترفين أو أن يعتمد التعمق فيما لا موجب
له للتمعق فيكون آنذاك اختلاقاً واعتسافاً يوقعه في غموض بهيم فلا يحیی قلباً
ولا يضيء عقلاً .. وهذا هو ما يمكن أن نسميه بالغموض الرمزي المجرد وإن
خُيل إلى صاحبه أنه قد نفذ إلى لباب الحياة وسرها الأعظم .. نعم، وإن

أضفى على عمله بحذقه وبراعته في الصنعة البلاغية ألواناً من الموسيقى لها
إيقاعها الجميل والجليل معا ..

ولقد اقترب الشاعر صلاح عبدالصبور من هذا النوع من الغموض الرمزي
الفلسفي في قصيدته : «أحبك» ، وذلك حيث يقول :

لا ، لا تنطق الكلمة

دعها بجوف الصدر منهمة

دعها مغممة على الخلق

دعها ممزقة على الشدق

دعها مقطعة الأوصال مرمية

لا تجمع الكلمة

دعها رمادية

فاللون في الكلمات ضيعنا

دعها غمامية

فالخصب شردنا وجوعنا

دعها سديمية

فالشكل في الكلمات توهنا

دعها ترابية

لا تلق نبض الروح في كلمة



ولو أننا حاولنا أن نفسر كل عبارة على حدة أو أن ندخل إلى «دنياها»
لوجدنا أنفسنا في «دوامة» من التأويل الفلسفي .. فحين يقول الشاعر عن
الكلمة : «دعها رمادية .. دعها غمامية .. دعها سديمية .. دعها ترابية» ،
فإن مثل هذه الصور التي تتلاحق على الشكل الواحد كفيلة — فوق أنها
غامضة غموضاً بيتاً بحيث أن صاحبها وحده هو الذي بيده سرها — أن تُفقد
الخيال أو تستلب منه القدرة على التصور الصحيح بل ويمكن أن توقع النفس

في دوار اليأس الذي يصدها عن متابعة العمل الفني باطمئنان ورضى أو في تشوف ورغبة حميمة .. وإلى هذا يرجع السبب فيما عاناه الشاعر من مشقة في سبك تصويره في قوالب من الجلال أو الوقار البلاغي ، إن أجزى هذا التعبير .. ومع ذلك فإننا نظفر في هذه القصيدة بصور من الغموض الرمزي الفلسفي المشف في إجماع خفيف وكأنها الومضات التي تكشف الغطاء عن السر في سرعة خاطفة لأن الوقوف على حقيقة السر وانكشاف ماهيته يشبه المستحيل .. ومن هنا فإن العبقرية الشاعرة هي التي تقدم الرمز بمبدأ في مشهد حي ينبض بسمات الواقع الذي يمكن إدراكه بغير مكابدة مرهقة .. نجد هذا في قول صلاح عبدالصبور عن الكلمة :

دعها مغممة على الخلق

دعها ممزقة على الشدق

دعها مقطعة الأوصال هزمية

وكذلك حين يقول عن الفسنة التي تصيب الإنسان من جراء الكلمة في مقاماتها .. ولكن في رمزية أعلى وأدق ومشفوعة في نفس الآن بما يتسامى بالخيال والفكر التي وضاعة الروحانية التي تتجاوز مشاغل الحياة وإن ضخمت أصدائها وعظمت هياكلها .. إنه يقول :

فاللون في الكلمات ضيعنا

فالشكل في الكلمات توهنا

لانتلق نبض الروح في كلمة



ولقد يرجع الغموض الرمزي إلى ثراء العاطفة بمشاعرها وانفعالاتها ؛ ولعل الانفعالات العاطفية حين تصدر عن إحساس القلق اللاذع والناجم عن موقف مصيري حيوي يكون فيض ثرائها بالصور والرموز والإشارات بل ويكون فيض ثرائها بالمشاهد التي يبدعها الخيال فإذا هي متدفقة في تلقائية لا يدركها وئان الضعف ولاقصو التجربة الوجودية الغنية التي تبحث عن

صورة هنا وصورة هناك .. وإن مثل هذه العاطفة الثرية بصورها والثرية بمشاهدها كفيفة بأن تمنح الغموض الرمزي حيوية دفاقة نشطة تضع الانسان فكراً وشعوراً وخيالاً بل وجسداً في تيار الصيرورة الوجودية للحياة الإنسانية بآله الكون كله وهو على وعي بذاته ..

ويعد هذا النوع من شعر الغموض الرمزي من الأنواع الرفيعة التي لا يقدر عليها كل شاعر .. بل ولا يستطيع كل شاعر أن يوظف انفعالاته العاطفية في خلق أو إبداع الصور الرمزية التي تجسد بواعثه وتطلعاته .. ونقول : «لا يستطيع كل شاعر» ، لأن العاطفة حين تكون فياضة بانفعالاتها فقد تطوي عقل الشاعر فلا يستطيع إحكام التصوير . ومن ثم تأتي صورته في حالة قريبة من اللاتعین تطغى عليها فوضى التداخل والتناثر .. أو قد تأتي مائعة في ألوانها وظلالها فلا نستطيع أن نقول أن هاهنا منظرًا واضحاً مكتملاً أو لحظة متميزة .. ومثل هذا العمل يدخل القارئ — أو السامع — في عماية من الفوضى الرمزية التي هي أشد حلقة من الغموض الرمزي الجامع في إغرابه . ومن الذين اقتربوا من هذه الدرجة الرفيعة من الغموض الرمزي الشاعر، محمد ابراهيم أبو سنة ، وذلك في قصيدته : «النهر وملائكة الأحزان» ، وقد جاء فيها :

لست سطحاً من الموج .. لا ولا أنت فضة

إنما أنت مهجة الأرض سالت .. ودهر ..

.. من الهنئات والتعاسة والشوق ..

.. لحن من العشق يرحل في الحلم

حتى تموت المسافة

ومنها : هذه ملائكة الأحزان تسبح

غارية بن شط الرحيل

وشط المجيء

ثم يمضي بها الموج فوق

عوالمك التي ترعرع بين حدائق هذا الغروب الطويل



ولئن أسرف الشاعر في هذين الجزئين في تركيب الصور الرمزية حتى بدا وكأنه يسير وحده بين غيوب الماضي العتيق العريق مما يجعلنا نتساءل هامسين عند كل لحظة أو إشارة وتثليث وجلين عند سماعنا لأصداء تلك الغيوب .. إلا أننا حين نقرأها بقلوب واع فإنه يزداد اقترابنا من الموقف الوجودي الذي أضنى الشاعر وأحزن ملائكته ..

وإنه ليبدو من الصور المتلاحقة والمتآصرة في وحدة عضوية نفسية وفنية أن العاطفة الفتية الثرية والكرمة في عطائها الانفعالي، قد تضافرت مع ملكة الإبداع عند الشاعر للتعبير عن إحساسه بالوجود والحياة والناس والمجتمع . ولهذا جاء عطاؤه الفني صوراً من الغموض الرمزي الخصب والتأبض بحيوية العاطفة التي ملأت خيال الشاعر بل وملأت عينيه بمشاهد الحياة .. تلك المشاهد التي سجل منها هذه الفقرة المتميزة بنضارة الرمز وشفافية الغموض ؛ فهو يقول :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

هذه جثث العشاق في
قاعك الغريني العميق
تتحول أقنعة من طحالب
تغدو زهوراً وملكاً للمرائي
وربما تهب من الفرج الداخلي
لتنشر فوق البراري الفسيحة
عطر الربيع



ولعلنا بعد هذا نكون قد وفقنا في تحليل ظاهرة الغموض في الشعر الحديث ومع ذلك فإن للشعراء كلماتهم التي تسمو على التعليل والتحليل لأن الشعر

كلمة الحياة .. ولأن الشراء قيامة الوجود ..

القصائد المختارة في البحث

اسم الشاعر	القصيدة
أجد ريان	«زوبعة البيوت البشارة»، نشرت بمجلة الهلال عدد فبراير ١٩٧٧.
ممدوح بدران	«حاملاً في رحيلي الشرعي كوكب الأبوة» .. نشرت بمجلة «الكراسة الثقافية»، التي كانت تصدرها دار آتون بالقاهرة، عدد يونيو ١٩٧٩.
عبد الوهاب البياتي	«برلين في الفجر» .. من ديوانه: «عشرون قصيدة من برلين» صدر سنة ١٩٧٠.
محمد مهران السيد	«عفواً أنا لأعطيك الحكمة» .. من ديوانه: «ثروة لا أعتذر عنها»، صدر سنة ١٩٧٨.
صلاح عبدالصبور	«أحبك» .. من ديوانه: «أقول لكم»، الطبعة الثالثة، صدرت سنة ١٩٩٩. http://www.archive-beta.net/it.com
محمد إبراهيم أبو سنة	«النهر وملائكة الأحزان» .. نشرت بصحيفة «الأهرام» في ٢٥ يونيو سنة ١٩٨٠.

-
- (١) سوق تباع فيها الآلات والأدوات القديمة لأرباب الحرف .
(٢) من كتاب : «التقد الأدبي الحديث» ، تأليف د/محمد غنيمي هلال ص ٤٧٦

قصیدتان

شعر: باکثر محمد
ترجمة: رياض عبد الواحد

ولد الشاعر باکثر محمد عام ١٩٢٥ في احدى المدن السوفيتية . تخرج في
جامعة اذربيجان قسم — فلسفة اللغات — .

أصدر مجموعته الشعرية الاولى عام ١٩٤٩ بعنوان « اصدقاءني » ظهرت له بعد
ذلك مجموعات عدة من أهمها :—

- ١ — الضربح الداخلي ١٩٥٣
٢ — النهاية المؤلمة ١٩٥٦
٣ — الانسان والزمن ١٩٦٤

يعمل باکثر الان كأستاذ في جامعة اذربيجان لتحصيله على شهادة
الدكتوراة .

- الأصدقاء -

اذ تحملك الأقدام الى جبل شامخ —
وتبصر الارض وتتنهد ، عند ذلك فقط

تعرف ان في قمة الجبل الشامخ
يصعب التفرد

• •

اذ تنزل في قعر خندق عميق —
وتبصر الاعلى ، عند ذلك فقط
تعرف ان في قعر الخندق العميق
يصعب التفرد

• •

إذ تحملك الأقدام الى جبل شامخ ،
إذ تنزل في قعر خندق عميق ،
ذلك يكسب الصخر روحاً
عندها أصرخ

استمع الصدى يتدحرج
ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>
« ٢ » القصيدة الثانية

- سلم الحياة -

أبطىء الخطى ، أتسلق سلم الحياة
تتضاعف متنامية اشعاعات الشمس
الغادية ،

تتوهج شاحبة اللون ،
يندفع صبي تحت ركامات السلم
فأصبح ظله

• • •

يدندن الصبي ،
يتشاهق بشدة ،
فيحتويني التعب وسط الطريق .
تستوضح للسامع أنفاسي ،
أخذ بعضاً منها لأراه ،
يقفز .. يرقص .. يتجه صوب الارض
فأصعد خطوة أخرى .

• • •

تحتويني الظلمة ...
أستمكن الموضع فرحاً ،
أطالع قلبي أنقاه
ضنني التعب
وتلك الخطى .



<http://Archivebeta.Sakhril.com>

تشابك الرؤيا
يعتريني ظن
بأن الذي مر بي
هو العمر .
أترقبه ، تهبط خطوة
فأصعد واثقاً خطوة أخرى



الشاعر
التشيلي

محفوظ مَصِيص



عبد يرفا سط ين
في أمريكا اللاتينية

بقلم الدكتور: محمد عبد الله الجعدي
كلية الآداب - جامعة مدر يد

الشاعر محفوظ مصيص، التشيلي الجنسية والمولد، العربي الأصل، الانساني، المقاوم لكل ظلم وجبروت في مواقفه وشعره، وُلد سنة ١٩١٦ . وبدأ الكتابة في فترة مبكرة من حياته، وكان عضوا نشطا بين الكتّاب التشيليين، فشغل خلال الستينات منصب رئيس جمعية الكتّاب في بلاده، ومدير مجلة « بولميكا » وقد نشر

حتى الآن حوالي سبعة دواوين شعرية ومجموعة قصص وكتاب نثري ودراسة نقدية .

وقد تميز شعر محفوظ بأسلوبه الفريد وباستخدامه للموضوعات غير المألوفة الأمر الذي جعل الجدل النقدي يدور شديداً وعنيفاً حول كل كتاب يصدر له ، فقد كان القراء والنقاد ينقسمون بين مؤيد ورافض لهذه الطريقة « المحفوظية » في الكتابة ، إلا أن كلا الفريقين كانا يتفقان في النهاية على أنها ظاهرة أدبية تستحق التحليل والدراسة .

لقد اجمع نقاد شعره على أنه يعيش الواقع الانساني المعدب بكل جوارحه ، الأمر الذي جعل روح الترقق الانساني والعذاب البشري المرئ يظهران بوضوح في شعره ، وهو بهذا الى جانب بابلونيرودا يمثل أقوى التيارات الشعرية تحريراً في تشيلي . و يتميز شعره بالعمق والأصالة والطريقة الخاصة والكثافة ، وهو — كما يقول بدرو بابلونبار يديس — كشاعر يزداد كل يوم أصالة في أسلوبه ونغمته ، الامر الذي جعله « مفخرة تشيلي » .

والحقيقة ان ازدواجية الانتهاء والأصل عند محفوظ قد أثرت تأثيراً قوياً في شعره ، فقد جمع بين حضارات الشرق الغابرة بعلومها ومعتقداتها ، وثقافات الأنديز القديمة بأساطيرها وخيالها ، وعن هذا الجمع تمخضت فلسفته الشعرية في نظرتها للمفاهيم الحياتية والفلسفية كالموت والحياة والحب .. الخ . فجاء شعره عذبا ، صادقا وحيوياً كأساطير الأنديز القديمة ، تهب عليه ريح جنائزية من مصر القديمة فنضع الحد الذي يفصل بين الانهيار والأمل في شعره . وقد ظهر أثر هذه الازدواجية قوياً في ديوانه « مريثة تحت الأرض » . حيث أن الكلب الذي هو أكثر البهائم ظهوراً في شعر محفوظ مصيص ، يظهر في هذا الديوان في صورة — الإله انوبيس ذي الرأس الكلبية يزن أرواح الموتى ، وفي شعر محفوظ نجد أيضاً الملائكة حاضرة يستخدمها استخداماً خاصاً ، وإن كان بليك قد قال : « أن كل ملاك مربع » فإن محفوظ مصيص — كما تقول خوسيفينا بلال — يحمل حدود الرعب الملائكي الى أبعد مما يستطيع أي شاعر (ملائكي) متطرف في استخدام هذا العنصر كدائتي أو

بودلير أو بوي مثلاً . وترى نفس الناقدة أن الموت في شعر محفوظ مصيص هو تجربة حية ، مرعبة وغريبة في ظاهرها ، تسبق وقتها ، حيث يُصرُّ الشاعر على الفصل بين الموت والحياة فينتهي به الأمر الى تحشم الاثنين معاً دون أن يخلط بينهما حيث تتلخص هذه التجربة في قول الشاعر نفسه « بأن كل ما نراه وما نحبه يعيش ويموت ونحن نُنظر إليه » ، وباختصار فإننا نجد في شعر محفوظ « ولادة موت جديد ! » .

وشعر محفوظ على جودته يغطيه ضباب لزج تتلألأ من تحته الاستعارات الساخرة . أما لغته فقد وصفها النقاد ، لكثافتها وصلابتها وقوامتها ، « بلغة البترول » أو « لغة السَّج » التي قلما يتمكن القارئ العادي من الكشف عن إبداعيتها .

وحسب صحيفة « اونيبيرسال » الكراكاسية (فنزويلا) فإن محفوظ شاعر ذو قيمة كبيرة ، ومثل أكثر عمليات الخلق الشعري ثورية في تشيلي — حيث أن أحداً في هذا البلد — حسب بيرناردو كروث — لا يكتب بالصورة المركزة ، المميّزة ، الرائعة التي يستخدمها محفوظ مصيص . وبالرغم من هذه الغشاوة التي تظهر في عناوين كتبه مثل : « ألحان الديك الأسود » ، و « أساطير المسيح الأسود » و « كتاب النجوم المطفأة » و « وحوش الألم » فإن شمساً تبدو من وراء تلك الغشاوة ساطعة ما تلبث — إذا أمعنا النظر في حقيقتها — أن تمزق تلك الغشاوة الجنازية كاشفة عن روح ثورية متمردة تنظر الى الأمور نظرة واقعية تأملية تسمح برؤية المستقبل رؤية حقيقية . .

« في هذه الأرض التي تسحقها الآلام والمجاعة

... ..

محتومة تظهر في السماء

علامة الثورة فوق السم والشرور

فهي عبورٌ من خلال الموت

وصيحة عبر جدار الصوت » .

ومن هذا الموقف الذي لخصته الأبيات السابقة ، انطلق محفوظ مصيص يكتب

شعره المقاوم ، وهو في منفاه في كاراكاس بعد أن شردته السلطات من وطنه . ومن
منفاه راح ينشد مؤيداً كلّ قضايا الحرية العادلة في العالم داعياً أصحابها إلى
تضييق الخناق على الظالمين والمعتدين . ولم ينس أكثر القضايا الانسانية المعاصرة
عدالة فخصها بهذه القصيدة الرائعة : « فلسطين في القلب » :

فلسطين في القلب

المفندائي الثورة الفلسطينية

عند قدّم هذه السلسلة الجيلية القاسية البيضاء
أقف عارياً أنا
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

محفوظ مصيص

عَبِيرُ فلسطين في القارة الأميركية

مُواطن من العالم الثالث

من العين الثالثة

من هذا القمر الفارع

كمهرة أرفع صوتي في وجه السماء المكفهرة

لن أبكيك أرض أبي العتيقة

لن أبكي شهداءك أو

نساءك المهتوك عرضهنّ ، الملقيات

الى الجحمة السوداء ،

أو أطفالك المشرّبة الى الشمس وجوههم ،

أطفالك الذين قلبي بعدهم ،
لن أبكي ذورك ذات الحجارة الأزلية
المسكونة بالغبان ،
المجلوبة من كل الأمم ،
غرباك عيونها زرقاء ،
أو خضراء
أو صفراء
أو حمراء كشقائق نعمان دموية .
لن أبكي مسنيك الذين يغنون تحت الأخياش ،
سواء هَجَرَتِها العصافيرُ
ولا صلواتك لمعبود مات في
الحَجَرِ منذ زمنٍ طويل
الذَّمْعُ وَخَذَهُ
يلعق الحَجَرَ ! ينزلق
كالموت ،



ويسقط سقوط الماء على السيف
المجرّد
أغنية العين الناضبة ! العين التي لا رطوبة فيها ،
وأشرب ابريق دموعي في وحدتي ، عندما
لا يستطيع ، حتى الموت رؤيتي ، وأنت ، وأنت ، زوجتي ، تظنين
أنني نائم
قبضة يد . عرق وحمم بركانية ! ذلك ما أريد .
أخرجوا ،
أبطال الشَّبُوط والحُفَر الباردة !
في أيديكم المفاتيح ،
أخرجوا الثَّمَر من أصواتكم !

عودوا إلى المهدي الذي فيه تحابّ أبائكم
وفيه مات الجدّ، في آخر أُمسية، مستمعاً تجلّيّة الحضاير
وتغناءها الزبرجدي .

هو أصحاب غيتو أوروبا ! الذين
في الأحران حرقوا ، المنبوذون كقرطاس إثر العاصفة ،
المسلوخون عن جلودهم ، أو
المهروسون مع الحجارة ،
المسمّرون ، المقطّعون إرباً ،
المزهقة أرواحهم في عُرف الغاز
في آوستشوتز .
الخفقون ،

الذين لم يتعلموا الدرس ،
من توينبي العجوز ، وأرسلوا
كلاهم المسفورة إلى فلسطين ،
وأسرّاب ضرائهم في ثياب أحبار
أو أسماك قرش حزينة

أو أرسلوا الجنرال الذي ، بعين واحدة ، صلدة كالماء المتجمد ،
يُنظَرُ إلى أرضاته أو جلاّديه .
إلى جديانه الشعارية .

هرعوا

« ككيس سليكا » وريح عاتية

كعواء مجنون في الوهاد ، حرق

الأرض الطيبة ،

أشجار الليمون ترتجف

كندي أرملة بها الذكريات قد عَصَفَتْ ،

أشجار رمانك

التي لا تنتهي، وصناعتك التقليدية
 البسيطة، عندما كُنْتَ تشغلين الصِّدْفَ،
 أو تنقشين على خشب الزيتون الخالد .
 بقروا بظَنِّ دير ياسين واستعرضوا
 فتياتك عاريات
 حرقوا رموزك، قذفوك بالنابالم والزيت الأسود،
 وفرقوا أبناءك، يحملون على اكتافهم
 آخر ثقب مسمار في الذاكرة
 ولكن هناك بعيداً
 في المخيمات
 في كل مُخْضَلٍ وترابي وأحشائي، واعمى
 في محارب الرعب، أو بهزال الأجساد
 التي في كل يوم تموت،
 بين مرايل وجرذان مبتلة،
 بين أحلام جذماء ودخان وحيال وملابس
 موتي



بين القطران والخثالة

بين أشياء

كثيرة نسيها الأرض ،

انفجرت فجأة ، قنبلة دم : مائة

الف رأس كَبْرَد قرمزي ،

بكلمة عدل محفورة في

كل عين ، وكل قلب يأس ؛

من كل

شبوط التي قلب الليل فدائني قفز ،

قلب الليل الرهيب السابق لكل تاريخ .

فالطفل أصبح الآن فدائيا هائجا ،

واللسان الجاف كحريق في حلفاء ،

اليكم أبناء الظل الساطعين ،

هذه الوردة الباردة ،

هذه الدماء التي لا تزال تحرقني ، ومن

الوهاد الساحلية ، من هذه الصخرة الكوكبية ،

للاحوال والعظام

أحبل لغتي الى بارود ،

اشعل أساطيري الخاصة

وعلى صهوة جواد جامح أصحبكم

في رحلتكم

وأقول :

المجد لكم في الدُرى !

وهنا في السهوب لكم المجد !

المجد للصناديد عند شروق

الحجر ! فلتسعد الصدور

التي منها رضعتم ، لبن الكواكب السيارة المُر .
 فلتسعد امرأة
 وضعت على جباهكم أول قبلة ،
 امرأة تغطي وجوهكم في الساعة السوداء الأخيرة الخالدة .
 عندها . ، أنني على رجولتكم ،
 وسواعدكم القوية ،
 وباسمكم
 أرفع صوتي
 كمن يُشهرُ سيفاً
 في أمريكا اللاتينية
 وابتخرُ المقدسات
 احتفاءً بمولدكم !



ميجيل إرنانديث

من راعي غنم إلى شاعر مناضل

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بعتلم: حامد أبو احمد

عندما كان الشاعر الفتى ميجيل إرنانديث نزيل أحد السجون بعد انتهاء الحرب الأهلية الإسبانية وصلته رسالة من زوجته تقول له فيها إنها لا تجد ما تأكله إلا الخبز والبصل . وماذا كان يوسع الشاعر السجين رهين القيد أن يفعل إلا أن يلجأ إلى الشعر ينث فيه همومه وأوجاعه . وقد تبلورت عاطفته الثائرة المجرحة في ذلك الحين في قصيدة أهداها لطفله عنوانها « أغنيات البصل » ومطلعها :

البصلة جليد

مقفلة ومجدبة
جليد أيامك
وجليد ليالي.
جوع ووصل ،
نلج أسود وجليد
كبير مدور

ونظراً لأن هذه القصيدة فريدة من بين كل ما كتب في هذا الباب ، سواء في الآداب الإسبانية أو العالمية ، فإننا نفضل أن ننقلها كاملة إلى اللغة العربية في نهاية المقال . وقد كانت القصيدة بمثابة تنويع لحياة تُسمت بالفقر والبؤس والتمرد والثورة ؛ تمرد ضد الفقر والظروف القاهرة ، وثورة ضد التسلط والاستبداد . ونحن ، في ذكرى مرور أربعين عاماً على موت هذا الشاعر الكبير ، لا نجد أفضل من العودة إلى ذكر بعض معالم حياته القصيرة التي لم تبلغ اثنين وثلاثين عاماً ، لكنها كانت حلقة هامة في سلسلة التطور الإبداعي الخلاق في الأدب الإسباني المعاصر .

ARCHIVE

راعي الغم

ولد ميغيل إرنانديث عام ١٩١٠م بقرطبة أريولة التابعة لإقليم أليكانتي (كان العرب يسمونها لقنت) وإن كانت أقرب إلى مدينة مرسية منها إلى المدينة المذكورة (تقع على بعد حوالي ٢٠ كم من مرسية) . وهذه المنطقة الواقعة جنوب شرق اسبانيا وتطل على البحر المتوسط تعد من أهم المناطق التي كان للعرب فيها وجود مكشوف وتأثير كبير ؛ فمدينة مرسية مثلاً أسسها منذ ألف عام أمير قرطبة عبدالرحمن الثاني وهي تحتفل هذه الأيام بالذكرى الألفية لإنشائها ، أما أريولة فتشهد كل عام احتفالات مبهجة يطلق عليها « احتفالات المسلمين (المور) والمسيحيين » . ومولد ميغيل إرنانديث في العام المذكور يعني أنه ينتسب إلى الجيل الذي سمي بجيل الحرب الأهلية ؛ وذلك لأن هذه الحرب قد نشبت وعمره حوالي ٢٥ عاماً ، واستمرت لمدة ثلاث سنوات تقريباً .

وقد التحق ميغيل بالمدرسة الأولية وعمره ثماني سنوات ، ولكن بسبب فقر

الأسرة اضططر والده لإخراجه من المدرسة في مارس عام ١٩٢٥ وعمره ١٤ عاما فقط . ومنذ تلك اللحظة توفر ميجيل إرنانديث على رعي الأغنام وتوزع ألبانها على البيوت في القرية . ومن ثم فإننا يمكن أن نقسم حياته في تلك الفترة الغضة من صباه إلى مرحلتين : المرحلة الأولى هي التي كان يتردد فيها على المدرسة ولكنه كان ملزما بقضاء وقت فراغه في رعي الأغنام ، والمرحلة الثانية هي التي أعقبت خروجه من المدرسة ، وقد تخصص خلالها كلية في رعي الغنم ، وتمتد من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٣١ ، عندما رحل إلى العاصمة مدر يد لأول مرة ، وأخذ يباشر نوعا جديدا من الحياة هناك . وقد ذكر الشاعر بعد أن أصبح يافعا تلك المرحلة الأولى من حياته في أبيات يقول فيها :

في الخامس من يناير

من كل عام . كنت أضع

حذائي الرعوي

عند النافذة الباردة

وكنت ألقى الأيام

التي تسحقها الأبواب

ونعالي خاوية

ونعالي صحراء

لم يحدث أبدا أن ملكت حذاء

أو ملابس أو كلمات

لم أملك إلا خرقا

ومآسي ونعاجا .

وبذلك نجد أن عين الفتى ميجيل إرنانديث بدلا من أن تتفتح على الكتب قد تفتحت على الطبيعة ، فأخذت ترقب الأشياء الطبيعية في مولدها وازدهارها ونضوبها وسقوطها ، والأغنام في حركتها واضطرابها . ولذلك نجد الشاعر الشهير بابلو نيرودا يتذكر هذه الفترة من حياة الفتى ميجيل إرنانديث فيقول : « كان يحكي لي

أنه خلال راحة القيلولة كان يضع أذنيه على بطون النعاج الحوامل ، و يقول إنه كان يستطيع سماع حركة اللبن وهو يمضي نحو الأنداء » ، و يضيف بابلونيرودا : « كانت زقزقة العصافير في تلك المنطقة والأصوات المشرقة وسط الظلمات والأثرهار لا تكاد تفارق ذاكرة الشاعر الذي كان يمضي اليوم بطوله خلف الأغنام . لقد أصبحت هذه الأشياء جزءا من دمه ، وروحه الملتصقة بالطين ، وشعره الممتدة جذوره في أعماق الأرض » .

وقد نشر ميجيل أولى قصائده عام ١٩٢٩ تحت عنوان « قصيدة رعوية » قال فيها :

بالقرب من النهر الشفاف
الملون بشعاع الكوكب الأشقر
المتماوجة مياهه بفعل النسيم الوليد
تبكي ليذا الراعية

.....

لقد تركها حبسها الراعي
وذهب إلى المدينة
تركها وحيدة
بجوار الأغنام

ومنذ ذلك الحين بدأت شهرة الشاعر الراعي تنتشر في قرية أر يولة وما جاورها من بلاد ؛ ذلك أن أشعاره كانت تنشر في بعض الصحف والمجلات المحلية . وقد اشترى ميجيل آلة كاتبة كان يحملها معه في سيره خلف الأغنام ، يكتب عليها ما تجود به القرية من أشعار . ولعله الشاعر الوحيد الذي اشتهر بألته الكاتبة يحملها من نعجة إلى نعجة . وعندما يقول له بعض أصدقائه إن الآلة الكاتبة ليست لازمة لوازم الشعر يرد عليهم بقوله : إنني أعد كتابا .

الرحلة إلى مدريد

عندما توجه شاعر أر يولة عام ١٩٣١ إلى مدريد ، يدفعه طموح وثاب نحو

المشاركة في الحركة الشعرية المزدهرة ، كانت العاصمة في ذلك الحين قد بدأت تموج بتيار شعري جديد بعد أن انحسرت موجة الشعر الصافي التي سادت خلال عقد العشرينات على يد شعراء جيل ١٩٢٧ . ولم يكن أحد يصدق في ذلك الوقت أن هذا الفتى راعي الأغنام يمكن أن يصبح رائد التيار الاجتماعي الجديد وأبرز شعراء جيل الحرب الأهلية . والحق أن الشعر الأسباني خلال النصف الأول من القرن الحالي قد شهد حركة تطور خلاقة ؛ جعلت منه أحد المعالم البارزة في تطور الشعر الأوربي المعاصر . وقد أطلق على هذه الفترة — بحق — اسم « العصر الذهبي الثاني في الشعر الأسباني » . ونظرة سريعة على خريطة الشعر منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى بداية عقد الثلاثينات تدلنا على أن حركة التطور خلال هذه الفترة كانت في تواصل مستمر . فن جوستافو أدولفو بيكر (١٨٣٦ — ١٨٧١) واتجاهه الوجداني إلى أنطونيو ماتشادو (١٨٧٥ — ١٩٣٩) وميجيل دي أونامونو (١٨٦٤ — ١٩٣٦) وخوان رامون خينز (١٨٨١ — ١٩٥٨) الذين قاموا بتأصيل هذا الاتجاه خلال العقدين الأول والثاني من القرن العشرين ، بل إن البعض وبالأخص خوان رامون خينز قد تعدى هذا الاتجاه نحو كتابة قصيدة الشعر الصافي المتأثر بالاتجاهات الرمزية الفرنسية . وفي الوقت نفسه كانت هناك مدارس واتجاهات أخرى واكبت حركة التطور في الشعر الأوربي عامة مثل الماورائية والابتداعية والدادية وغيرها . ثم جاء جيل ١٩٢٧ الذي قام بتأصيل اتجاه الشعر الصافي في الفترة من ١٩٢٠ حتى عام ١٩٣٠ تقريباً . وهؤلاء الشعراء استطاعوا — بحق — أن يقفوا في مصاف أكبر شعراء أوربا على الإطلاق . و يكفي أن نذكر أسماء فيديريكو جارتيا لوركا ، وخورخي جيان ، ورفائيل ألبرتي وخيراردو دييجو للتدليل على ذلك . ومع ذلك فإن هذا الاتجاه العملاق — مثل كل الحركات الإبداعية الكبرى في أوربا — كان لابد أن يصاب بالركود ، كي يترك المجال للأجيال الجديدة لتحمل راية اتجاه آخر يتناسب مع الظروف والأوضاع . وهذا — في رأينا — هو سر تلك الديمومة الخلاقة التي تميز الفكر والفن في أوربا منذ مطلع عصر النهضة الحديثة . وهذا ما حدا ببعض النقاد إلى تقسيم المراحل الأدبية إلى أجيال يدور كل جيل في فترة زمنية تتراوح من عشرة إلى خمسة عشر عاماً .

ولهذا فإنه بالرغم من أن حياة الشاعر الفنية لا تنحصر في فترة بعينها بل ربما تمتد لتشمل ما يزيد عن نصف قرن من الزمان إلا أن مجال تأثيره في تطور عمليات الإبداع لا يتعدى الخمسة عشر عاما تقريبا ، لأن الجيل التالي له مباشرة يسك بزمام اتجاه جديد أكثر انسجاما مع روح العصر وروح التطور المبدع .

وقد جاء عقد الثلاثينات يحمل بذور اتجاه جديد : فيعد أن كان الشعر يمثل قبة التجديد والتحرر من أي التزام سياسي أو اجتماعي نجد شعراء جيل ١٩٢٧ أنفسهم ، وبالأخص رفائيل ألبرتي ، يتجهون نحو كتابة الشعر الملثم بقضايا الإنسان والمجتمع . وقد أصدر ميغيل إرنانديث أول دواو ينة عام ١٩٣٣ وهو ديوان «أخصائي القمر» ونحن نجد في هذا الديوان بعض التأثير باتجاهات الشعر الصافي ، ولكنه حتى في قصائد هذا النوع أميل إلى استلهم العاطفة ، وأكثر بعدا عن الزخارف والرموز المجردة . ثم إن عالمه الشعري هو عالم السحر والأساطير وفوضى الحواس ، لكنه عالم أقرب إلى الواقع وأكثر التصاقا بالأرض . وعندما كتب ميغيل إرنانديث قصائد هذا الديوان كان يتعرض لوضع يمكن أن نطلق عليه «تراجيديا الاستعلاء على الواقع» . وما يالك بأنسان لم يلم بأي قدر من الثقافة يتطلع نحو الارتفاع إليها ، بل إنه كان يحلم بالوصول إلى قمة الجودة في التعبير الفني . وكانت حياة شاعرنا في تلك الفترة عبارة عن عملية تسلق مستميتة نحو القمة .

أما الموضوع الرئيسي في ديوان «أخصائي القمر» فيتركز حول الصلة مع القمر نفسه ، وإن كانت هناك عناصر أخرى واقعية أيضا مثل الفجر والديك والنيران والنعاج والمطر والآبار وكل ما يمكن أن نقابله في شوارع أر يولة أو في مراعيها الخضراء . وهذه ظاهرة نجدها عند معظم الشعراء الذين ولدوا أو عاشوا في منطقة الأندلس أو المنطقة الجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة الايبيرية مثل خوان رامون خييز والأخوين انطونيو ومانويل ماتشادو وغيرهم . ثم إن ظاهرة الانغماس في الطبيعة قد عرفت أيضا عن الشعراء العرب في نفس المنطقة التي عاش فيها ميغيل إرنانديث ، مثل ابن خفاجة وابن الزقاق . وفي ديوان «أخصائي القمر» نجد الشاعر يستخدم الاستعارة والمجاز بمهارة فائقة بحيث يعكس في كلماته الشاعرة

يا راعي الأغنام ، براءتك المقطبة
وأوراقا مدرسية قديمة ، ورائحتك
عابقة بغراي لويس وبالأزهار وبالروث المحروق
في الجبال ، وعلى قناعات
غلظة حب الشويان المحصود
وعسل تكيله الأرض بعينيك
وكنت تحمل العصفور أيضا في فك .

و« ليثانتي » هو الاسم الذي يطلق على منطقة جنوب شرق أسبانيا ، أما
فراي لويس فشاعر قديم . وقد باعدت الحرب الأهلية الإسبانية بين الصديقين ، إذ
اضطر بابلونييرودا لمغادرة أسبانيا عام ١٩٣٧ حيث ذهب إلى باريس . ولكن
الصلة بين الاثنين لم تنقطع بل استمر كل منهما يذكر الآخر ، وتوسط بابلونييرودا
ذات مرة لإتقاذ صاحبه من الحبس .

ميجيل إرنانديث يصدر أهم دواوينه

في بداية عام ١٩٣٧ أصدر ديوان « الشعاع الذي لا يتقطع » . وهذا الديوان
كان بمثابة شعاع جديد انطلق في منارة الشعر الإسباني ، فهو عبارة عن قصائد
صادرة عن عاطفة قوية متدفقة ، لكنها تعرف كيف تنظم نفسها في قوالب محكمة
رصينة متكاملة . وقد بلغ الشاعر في هذا الديوان قمة الجودة الفنية سواء على
المستوى الشكلي أو على مستوى المضامين والقضية . وتتركز موضوعات الديوان
حول الحب والألم والموت والالتصاق بالأرض ، حيث يجد الإنسان راحته في
حياته ، وحيث يعود إليها بعد موته ، يقول :

إنني أسمى طين وان كانوا يسمونني ميجيل
الطين مهنتي ، وهو أيضا وجهتي

وفي سنة ١٩٣٧ أصدر ديوان « رياح الشعب » الذي كان يحمل نبض
الشعب الإسباني في هذه الفترة القاسية من تاريخ أسبانيا ، حيث كان يسقط
الضحايا الأبرياء في حرب خاسرة بين أبناء شعب واحد . كان الديوان عبارة عن

دفقة عملة بالرياح والصباحات والغضب والحنان والنجيب . لقد بكى فيه
الضحايا المجهولين ، والضحايا المعروفين مثل الشاعر جاريثا لوركا ، وغنى فيه
للفلاحين ولرجال الزيتون وللفقراء المقهورين وللأطفال المنكوبين . يقول في
إحدى قصائده هذا الديوان :

أسمع أقواما من آهات ، وأودية من أسف
أرى غابة من عيون لا تحف دموعها أبدا ،
شوارع من دموع ومعاطف :
وفي أعاصير من أوراق ورياح
حداد في إثر حداد في إثر حداد
ونجيب في إثر نجيب في إثر نجيب .

وقد ظل الشاعر ينشر قصائده وأعماله ، في الوقت الذي يشارك فيه في الحرب
الأهلية إلى جانب الجمهوريين ضد الجنرال فرانكو وأتباعه إلى أن وضعت هذه
الحرب أوزارها عام ١٩٣٩ بانتصار الجناح الفاشي الديكتاتوري ، مما أدى إلى وضع
كثير من المثقفين الأسبان التقدميين في غياهب السجون ، بينما فضل البعض الآخر
الذهاب إلى المنفى . وقد حاول ميغيل إرنانديز تخطي الحدود نحو البرتغال ولكن
البوليس الإسباني ألقي القبض عليه قبل أن يتمكن من الهرب وأدخل سجن و يلبه
في ٨ مايو عام ١٩٣٩ ، وأخذوا ينقلونه من سجن إلى آخر ، حتى حصل على عفو
مؤقت بفضل شفاعته بابلو نيرودا وبعض أصدقائه الفرنسيين . لكنه أدخل السجن
مرة أخرى ، ونقلوه أيضا من سجن إلى آخر ، حتى استقر به الحال في سجن
إصلاحية أليكانتي في ٢٨ يونيو عام ١٩٤١ حيث ظل به حتى آخر أيامه . وكانت
الأمراض والعلل قد بدأت تؤثر على صحته الفتية حتى أصيب بداء الصدر ، وقضى
نحيبه في ٢٨ مارس عام ١٩٤٢ .

ومن أهم ما يذكر في هذا الصدد أن زوجته خوسيفينا مانريسا (تزوجها عام
١٩٣٧) ظلت طوال الأربعين عاما الماضية ومازالت وفيه لذكره ، ومنذ لحظة وفاته
حتى الآن لم تخلع ملابس الحداد . وهي مصدر حي لا زال يلجأ إليه كل من يريد

أن يكشف عن شيء مجهول في حياة هذا الشاعر، الذي خرج من أدنى طبقات السلم الاجتماعي، فحرم من حق التعليم، لكنه استطاع بجهوده وطموحه وتضحياته أن يصبح أسطورة الشعر النضالي المرتبط بمصير الإنسان وقضاياها العادلة .

اغنيات

البصل

بصل وجوع	البصلة جليد
• • •	مقفلة ومجدبة
امرأة سمراء	جليد أيامك
مذاية في القمر	وجليد ليالي
تراق شيئا فشيئا	جوع وبصل ،
فوق المهد •	ثلج أسود وجليد
اضحك ، يا ولدي ،	كبير مدور
وابتلع القمر	• • •
عندما تضطر إلى ذلك	في مهد الجوع
• • •	كان يوضع طفلي .
يا قبرة منزلي	ومن دماء البصل
اضحكي كثيرا .	يتناول رضاعه
فالضحكات في عينيك	ولكن دمك
هي نور العالم .	أها الجليد المسكر

اضحكي كثيرا
فالروح عند سماعك
تندثر بالفضاء

• • •

فضحككت تمنحني الحرية
تعطيني أجنحة
ترفع عزلي
تنزعني من السجن
فك يطير
والقلب على شفتيك
يرق

• • •

فضحككت هي السيف
الأعظم انتصارا ،
المنتصر للأزهار
وللقبرات .
خضم الشمس .
مستقبل عظامي
وحبي .

• • •

اللحم خفاق
والجفن مندفع
والطفل متلون
كما لم يكن أبدا .

كم من كناري
يصعد ، ويحقق
من جسدك !

• • •

هالم أعد طفلا :
لن تفيق منها أبدا .
حزينا أجل الغم :
أضحك باستمرار .
باستمرار في مهدك ،
دافع عن الضحك
كلمة بعد كلمة .

• • •

طر إلى أعلى عليين
وانتشر في الفضاء ،
فلحمتك هو السماء
حديثه الولادة .
! لبنتي أعود
إلى الأصل الذي
بدأت منه طريقك

• • •

وفي الشهر الثامن اضحك
مع خمس زهرات
مع خمسة وحوش
صغيرة .

بخمسة أسنان
مثل خمس ياسمينات
شابهة .

• • •

يا ثغرا القبلات
التي ستطبع في الغد
عندما تحس بسلاح
في أسنانك .
ونحس بالنيران
والأسنان تمضي من أسفل
باحثة عن المركز .

• • •

طربا ولدي في
فراغ الندي القمري المزدوج .
انه ، حزين من البصل ،
وأنت ، راض .
لا ترق نفسك .
فأنت لا تدرك ما يحدث
أوبجري

